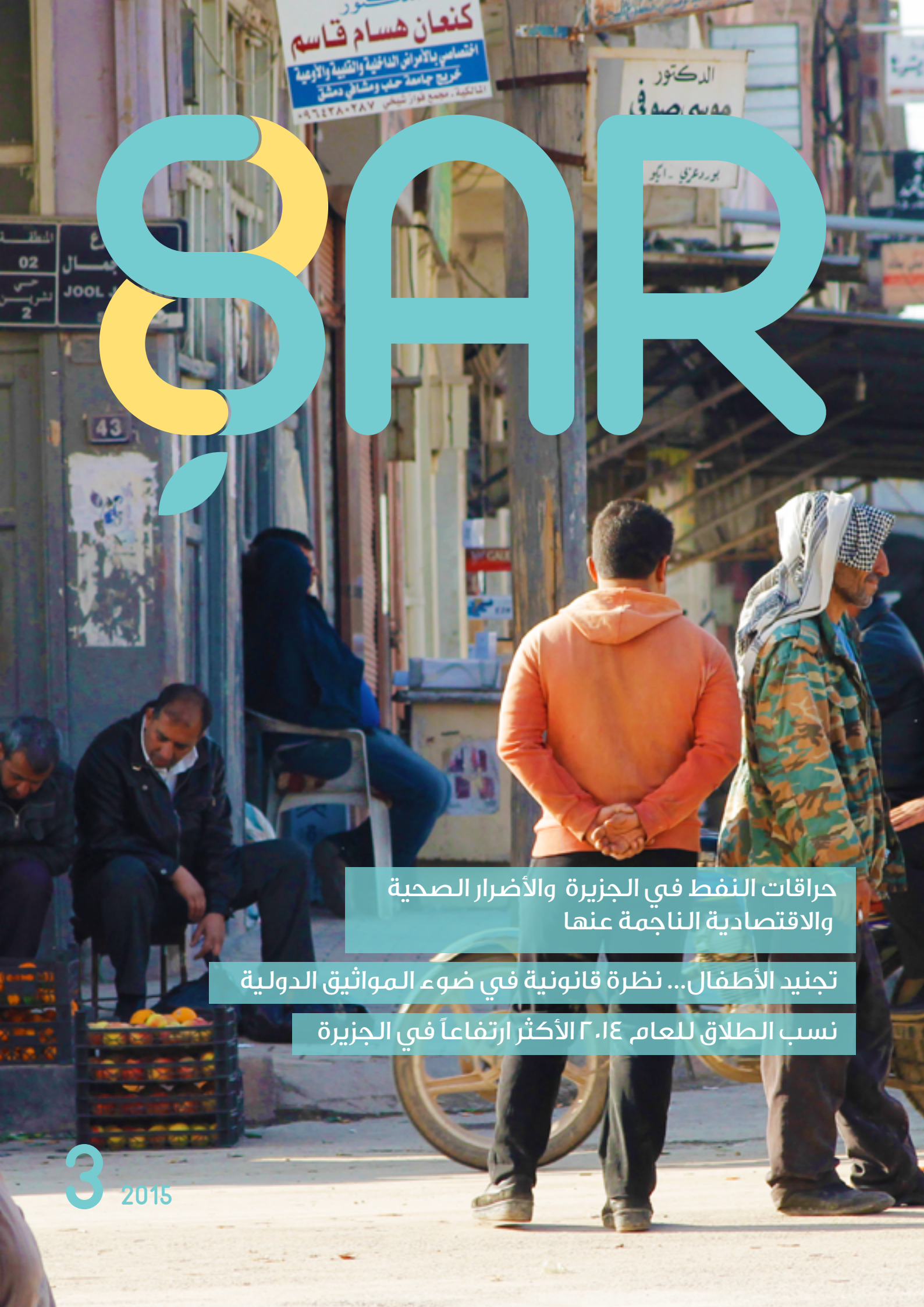

SOAR

حراقات النفط في الجزيرة والأضرار الصحية والاقتصادية الناجمة عنها

تجنيد الأطفال... نظرة قانونية في ضوء المواثيق الدولية

نسب الطلاق للعام ٢٠١٤ الأكثر ارتفاعاً في الجزيرة

3 2015

أعاصير وزوابع مرافقة للحرب

يلقي شبح الأوضاع الموغلة في الاضطراب بظلاله على المنطقة وعلى حياة الناس، وتتصاعد الهواجس وتنسد الآفاق ويتنامى الشعور بالعجز والخور لدى أغلبية المشتغلين بالشأن العام، من الذين حملوا في أزمنة سابقة (فكر التغيير والتمدن). إذ أن المرحلة الحرجة بقدر ما تحدث في النفوس وقعاً سلبياً، بقدر ما هي اختبار لقدرة التحمل والثبات، فما يثير الفزع هو قتامة المشاهد السياسية والعسكرية وربما الاجتماعية أيضاً، والتي تنفتح على المجهول. فثمة ضياع للوجهة لدى أعداد كبيرة من الشباب، يترافق مع رغبة هائلة بالفرار بما تبقى من أمل نحو (الحلم الأوروبي الوردي).

إنها الهجرة الكثيفة، نتاج الحرب والدمار و الاستبداد و الإرهاب وقلة الموارد والغلاء والفقر وانعدام فرص العمل، إنها الهجرة نحو الملاذ المفترض، نحو النأي بالنفس عن دخان المرحلة وغبارها، نحو مستقبل ما ينبعث كالمارد من جوف معسكرات اللجوء الألمانية أو النمساوية أو غيرها من دول أوروبا الهرمة. والنتيجة على الأرض طاقات غائبة وأحبّة يطلون على ذويهم عبر برنامج السكايب وأطفال يولدون في المغتربات والمنافي، يرطنون لغاتهم الأم بِلكنات أوروبية وانشغال بما هو شخصي بحت.

مدن وقرى مثخنة بجراح هجمات الأعداء الظلاميين من داعش وأخواتها، بعد أن مرت عليها سنوات وسنوات عانت خلالها من سياسات التمييز والقهر وانعدام التنمية وسيادة الفساد والإفساد التي اقترنت باستحواذ النظام وأجهزته على كل مفاصل الحياة. هذه البلدات والمدن تستنزف طاقاتها وشبابها وخبراتها ورؤوس أموال سكانها، وبيوتهم وعقاراتهم تباع لتمنح لشبكات التهريب الدولية التي تشكّل مثالاً حياً لا يقارن على الجشع والاستغلال والاستخفاف بمصائر البشر. وقد يكون سبب تزايد الهجرة أحياناً غير ذي صلة بالأوضاع؛ فكثيراً ما تكون (موضة) تنتشر بين الناس ومحاولة للتقليد ليس إلا، وانبهاراً بصور الأقرباء المتواردة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، إذ يعمد الميسورون أيضاً إلى ترك أشغالهم وعقاراتهم و يعرضون مقتنيات بيوتهم للبيع بأسعار بخسة، وتحويلها لعملة صعبة يخفُّ عليهم تحويلها وحملها عند عبور الأسلاك نحو الطرف الآخر من الحدود.

للهجرة انعكاساتها الكبيرة على التنوع والتعايش السائدين في المنطقة في ظل غياب المثقفين والمتنورين والأكاديميين. والهجرة الكبيرة في أوساط بعض المكونات التي يرتبط وجودها بتاريخ المنطقة وميراث التعايش بين أبنائها، إذ يسهم كابوس الهجرة في كسر التنوع الموجود في منطقة الجزيرة المعروفة بتنوعها القومي والديني والثقافي.

البيئة أيضاً ضحية لهذا الوضع، فدخان حراقات التكرير البدائي للنفط يغطي سماء المنطقة، ويزيد المحنة قتامة كما يزيد من احتمالات الإصابة بالسرطانات والربو والتحسس التنفسي والجلدي وأمراض العيون، كما يجري الحديث عن حالات إجهاض للحوامل وتشوهات تصيب الأجنة لم يتحقق منها بعد، لغياب الرصد الطبي والتحاليل وقياس تلوث الجو، هذا عدا عن غياب الخدمات في كثير من الأحيان، وهجرة كثيفة للأطباء الأخصائيين وذوي الخبرة والدراية بالأمراض المنتشرة في منطقة الجزيرة، وهذا الوضع يتطلب حلولاً جدية لا تقبل التأجيل.

نعتذر للجمهور الكريم من متابعي مجلتنا «شار» عن توقف صدورها في الفترة السابقة، نظراً للصعوبات الكبيرة على الحدود التي أغلقت أمام دخول العدد الثاني إلى للمنطقة، ما استدعى حشداً للجهود لدى العاملين على صدور المجلة، تكللت بتجاوز هذه الأزمة. ونأمل ألا تتوقف شار عن الصدور ونعدكم بإصرارنا الدائم على إزاحة العراقيل كي تصل المجلة إليكم.

هيئة التحرير

الفهرس

أعاصير وزوابع مرافقة للحرب 01

هجرة المأساة إلى الجحيم ... الهروب من بطش داعش إلى شوارع وأحياء وأزقة وباحات جوامع «سروج» 02

الحرب ترخي بظلالها على طلبة الجامعات في الجزيرة 04

الديمقراطية والمجتمع المدني يسقطان الاستبداد 05

حراقات النفط في الجزيرة والأضرار الصحية والاقتصادية الناجمة عنها 06

«العنوسة» شبح خفي يطارد الفتيات الكرديات 09

الواقع الصحي في الجزيرة «غياب التوثيق الحقيقي لتداعيات التدهور والانزلاق» 10

حوار مع الكاتب ريدي مشو 12

تجنيد الأطفال ... نظرة قانونية في ضوء المواثيق الدولية 15

جنود أوبسلا 19

الجدران حين تكون لوحة تشكيلية 20

أنا هو آخر 22

السجناء السياسيون وقوقعة الغريب «فيلم الخريف» 23

ما هي الانتخابات الحرة والنزيهة 24

شبكة التواصل الاجتماعي «فيس بوك» 25

نسب الطلاق للعام ٢٠١٤ الأكثر ارتفاعاً في الجزيرة 26

مشروع متشاركون 28

شهرية ثقافية تهتم بقضايا التعايش والسلم الأهلي والشأن المدني المرافق للنزاع

لإرسال المساهمات و الاقتراحات و التواصل
info@shar-magazine.com

المقالات تعبر عن آراء أصحابها وتقوم شار بنشرها التزاماً بحرية الرأي دون أن تكون الآراء متوافقة – بالضرورة – مع سياسة التحرير أو رأي منظمة شار للتنمية

حقوق النشر والطبع محفوظة لمجلة شار

shar-magazine.com

info@shar-magazine.com

SharMagazine

SharMagazine

تصدر عن منظمة شار للتنمية

SHAR For Development

تصميم و إخراج: زمرد ستوديو

www.zmrdstudio.com

الهروب من بطش داعش إلى شوارع وأحياء وأزقة وباحات جوامع «سروج»

في هجرة المأساة إلى الجحيم ... أهالي كوباني يناشدون العالم لمساندتهم

سردار ملا درويش– سروج

نزح نحو مئتا ألف مدني من مدينة كوباني الكردية بريف حلب الشرقي، باتجاه الحدود السورية – التركية، وبالتحديد إلى بلدة سروج، في أكبر موجة نزوح جماعي شهدتها سوريا خلال الأزمة التي دخلت عامها الرابع تواليا، بعد هجوم تنظيم داعش على القرى التابعة لكوباني، وسيطرته على أحياء من المدينة ذاتها، هذه الهجرة التي تزامنت مع معارك ومواجهات عنيفة بين تنظيم الدولة الإسلامية ووحدات حماية الشعب «YPG». وبالرغم من أن أهالي بلدة سروج، استقبلوا المئات من العوائل النازحة في منازلهم، إلا أن جغرافية البلدة الصغيرة، جعلت النازحين – وأغلبهم نساء وأطفال وشيوخ – يفترشون شوارع وجوامع البلدة، في ظل ظروف إنسانية سيئة، مناشدين المجتمع الدولي لمساعدتهم. بينما بقي غالبية الشباب يقاومون داخل المدينة، فيما تطوع عددٌ من الشباب بإيصال عوائلهم إلى الجانب التركي من الحدود، ومن ثم حاولوا العودة إلى المدينة للمشاركة في المعارك دفاعاً عنها، في ظل رفض الشرطة والجيش التركيين لدخولهم عبر الحدود، ما أدى لخلق مناوشات بين المدنيين والشرطة على طول الشريط الحدودي الملاصق للمدينة، استخدمت فيها الأخيرة الغاز المسيل للدموع.

وفي سياق الأحداث المتسارعة، طالب العديد من المدنيين على الجانب السوري من الحدود، السلطات التركية السماح لهم بإدخال مواشيهم وآلياتهم إلى الجانب التركي، خوفاً عليها من اعتداءات عناصر التنظيم، الذي بدأ باستهداف تجمعاتهم بقذائف الهاون والأسلحة الثقيلة، ما أسفر عن سقوط عدد منهم بين قتيل وجريح. في غضون تسارع الأحداث، وصل نازحون من المدينة إلى منطقة عين ديوار على الحدود السورية العراقية قرب مدينة ديريك بمحافظة الحسكة، بعد مرورهم من جزيرة بوطان جنوب شرقي تركيا، لينتقلوا بعدها إلى مخيم نوروز قرب ديريك.

مشاهد من الحدود لنازحين هاربين من بطش «داعش»..

بدأ تنظيم الدولة الإسلامية، الهجوم على مدينة كوباني وريفها منتصف شهر آيلول/ سبتمر الماضي، وحاصر المنطقة من ثلاث محاور، استخدم فيها الأسلحة الثقيلة، وسيطر على كامل ريف المدينة إضافة إلى أحياء من المدينة، ما أجبر نحو مئتي ألف مدني لمغادرة منازلهم وقراهم وبلداتهم. وبدأت موجة النزوح يومي (19 و 20) أيلول 2014، فبلغ عدد النازحين خلال اليومين (130) ألف مدني، بحسب نائب رئيس الوزراء التركي «نعمان قورتولوش»، ومع اليوم العاشر من موجة النزوح، دخلت نحو (150) عائلة إلى الجانب التركي، بحسب «أوتمان بونجق» عضو حزب السلام والديمقراطية الكردي في تركيا «BDP».

مقابل قرى (مرشد بينار وكوك تبه)، يتجمع أهالي مدينة كوباني قرب الأسلاك الشائكة – التي تفصلهم عن قراهم –، أطفالاً ونساءً وشيوخاً وشباباً، يحاولون أن يلقوا النظرة الأخيرة على ديارهم، ليذهبوا بعدها باتجاه بلدة سروج، أو شانلي أورفا أو غيرها، بحثاً عن مكان آمن يأويهم، ومن لا يلقَ المكان الأمن، يفترش الطرقات والشوارع، أو ينضم لمن نزح قبلهم في جوامع المدينة. وهناك ترى المشاهد المأساوية، فلا خدمات ولا مياه ولا رعاية صحية. وبين هؤلاء ترى حال الأطفال الصغار الرضع، وحال المرضى الذين يحتاجون إلى الإسراع في تقديم المساعدة لهم، خشية تأثير الظروف على صحتهم. وتقع مدينة سروج جنوبي تركيا، على بعد سبعة كيلومترات من الحدود السورية، يربطها مع أهالي كوباني صلة الدم، فرقتهم الأسلاك الشائكة.

الهروب حفاظاً على الحياة

رغم إدراك غالبية النازحين بضيق الحياة وصعوبتها في الطرقات والمجمعات والجوامع، إلا أن الهروب من الخوف الذي كان يخيم على أهالي كوباني، كانت معاناته أكثر من الحالة التي هم فيها. خديجة، أمرأة مسنة تناشد العالم لمساعدتهم وايجاد أماكن لإيوائهم، أو بناء مخيمات لهم – خاصة وأن الشتاء يقترب –، أو أن يتم مساعدتهم بالخلاص من التنظيم، كي يعودوا لبيوتهم أمنين، على الرغم من أنها تعتبر «أن الحال في سروج مرارته أهون من البقاء تحت رحمة تنظيم (داعش)».

أما رولكن (22) سنة، والأم لطفلة وحيدة تقول «هربنا من الحرب والظلم، واجتزنا الحدود خوفاً من الوقوع بيد تنظيم داعش، بعد أن تركنا قرانا وبيوتنا، ونحن نحمل أطفالنا. وهنا في سروج، نقوم بتدبير أمورنا، ونعيش في باحة إحدى الجوامع، وحالنا تنتهي الأزمة التي نحن فيها سنعود مباشرة إلى أرضنا». مضيفةً، أتمنى أن «تكون هذه المأساة وحالة النزوح مؤقتة، وأن نعود إلى وطننا، وتتحسن الأوضاع في سوريا»، لافتةً إلى أن «الأولاد يريدون العودة إلى منازلهم، ومدارسهم، فلا شيء بالنسبة لنا ولهم يعادل بيت الإنسان في أرضه ووطنه».

رولكن، تنظر إلى وجه طفلتها الصغرة، لا تستطيع أن تتحكم بدموعها، فهي تعلم أن طفلتها بحاجة إلى الحليب والرعاية الجيدة، «ما ينعكس على راحتها ومزاجها»، حسب وصفها. لذا تطالب بتأمين منازل لهم، «أماكن تأمن حياتنا، وتسترنّا، ونعيش فيها براحتنا، فباحة الجامع فيها ازدحام كبير، لا تصلح للعيش الدائم».

جيان (30) عاماً مُدرسة من مدينة كوباني، هربت في موجة النزوح الأولى، تقول والدمعة تملأ عينيها، «عبرنا الحدود هرباً من أصوات الانفجارات وإطلاق الصواريخ من قبل داعش على مداخل المدينة الشرقية والغربية، فقد باتت حياتنا جحيماً، كنا نخشى أن يصل هؤلاء إلينا ويقتلوننا، خاصةً وأننا نساء، ولم يكن أمامنا سوى النجاة من الذبح والاغتصاب على يد عناصر التنظيم».

وحول ظروفهم في تركيا تتابع، «ظروفنا صعبة جداً في تركيا، رغم مساعدة أهالي سروج، إلا أننا لن نشعر بالراحة التي كنا نعيشها في بيوتنا، والأهم بالنسبة لنا أن يتم إنهاء الحرب في سوريا». وتتابع بحزنٍ شديد مجيبة عما يقلقها في هذه الظروف، « كل شيء مؤلم، كنا نعيش بأمان قبل أن تصل داعش لمناطقنا، دمروا كل شيء، البيوت والمدارس، نتمنى العودة إلى بلادنا لأننا نحب أرضنا، ولا أريد أن أعيش مزيداً من الوقت بعيداً عن سوريا».

في حالات النزوح يترك المرء خلفه كل شيء، يهرب بجلده، يستذكر ما بقي وراءه، فأكثر الأشياء التي اشتاقت لها «جيان» صورها ونظارتها.

أمينة، التي اجتازت الحدود مع أطفالها، تشتكي من سوء أوضاع معيشتهم في بلدة سروج، وغياب المنظمات الإنسانية. «لقد وصل الحال بنا إلى النوم في الشوارع، وزوجي لا يزال في الداخل مع آلاف الشبان، يساندون المقاتلين للدفاع عن المدينة، لا أعرف إن كنا سنلتقي من جديد أم لا».

في ظل ندرة تواجد المنظمات الدولية... كرد تركيا يجتمعون على الحدود لمساندة أبناء جلدتهم

تجمع شبانٌ من كرد تركيا على الحدود بالقرب من بلدة مرشد بينار المتاخمة لمدينة كوباني، جاؤوا لمساندة أبناء جلدتهم وقوميتهم هناك في المدينة المرتخية على كتف تلة مشته نور، كلٌ حسب استطاعته، بعضهم ساعد في نقل النازحين إلى مدن الجوار التركي، وبعضهم أصّر على العبور باتجاه كوباني، للمشاركة في المعارك، رغم تحكم السلطات التركية بمنافذ الحدود. فتارةً تفتح الطريق أمام اللاجئين وتارةً تغلقه، بحجة محاولة شبان أتراك العبور للطرف الآخر ومحاربة التنظيم. ومع إصّرار الشبان على العبور قام الجيش التركي بإطلاق غازات مسيلة للدموع، واستخدم مدافع المياه لتفريقهم وإجبار الشبان على التراجع. في حين فقد طفل من كوباني حياته وهو يعبر الحدود، بسبب انفجار لغم أرضي على الحدود فيه، وهذا المشهد تكرر فيما بعد كثيراً.

لم يكن تواجد المنظمات الدولية بحجم الكارثة الإنسانية التي وصل إليها نازحو كوباني. إلا أن بعض المنظمات الحكومية قامت بالمساهمة في تخفيف الحالة، حيث ساهمت المنظمات الحكومية التركية في مساعدة النازحين، وذلك عن طريق منظمة (AFAD) التابعة للحكومة التركية على الحدود، بالإضافة لمنظمة الهلال الأحمر، وبلدية مدينة شانلي أورفا، التي قامت بمسح اجتماعي للنازحين وتسجيل أسماءهم، لإنشاء مخيمات لهم، في المنطقة الواقعة بين بلدة سروج ومدينة شانلي أورفا، وعلى بعد خمسة كيلومترات من الحدود التركية – السورية.

كذلك، شكّل مجموعة من المتطوعين من أبناء كوباني، غرفة عمليات مستعجلة، من أجل تقديم المساعدات الإغاثية للاجئين، والمقدمة من أهالي بلدة سروج أو بعض المنظمات الخيرية المتواجدة في البلدة.

الحرب ترخي بظلالها على طلبة الجامعات في الجزيرة

شيرين بريك

تشترك معظم المناطق السورية بما فيها منطقة الجزيرة، بطغيان الهاجس الأمني على حياة الناس، ومنهم الطلبة الجامعيون الّذين تواجههم أخطار كثيرة، أثناء التحاقهم بجامعاتهم، فالمنطقة باتت مقسمة بين قوى مختلفة (وحدات حماية الشعب، تنظيم داعش، قوات النظام).

ويعاني الشباب الجامعي في الجزيرة واقعاً صعباً، يتضح من خلال خوفهم من الالتحاق بجامعاتهم داخل محافظاتهم أو خارجها، فالكثير منهم لم يتمكّنوا من الاستمرار في تعليمهم نتيجة انخراطهم في الحراك السلميّ، ما جعلهم ملاحقين ومطلوبين وفق قوائم أعدتها أجهزة الأمن التي أقدمت على اعتقال وفصل الكثيرين منهم، على خلفية آرائهم وانتماءاتهم السياسية. يضاف إلى ذلك، المخاطر المتأتية من سيطرة تنظيم داعش على شبكة الطرق سواء المؤدية إلى الجزيرة أو التي تربط بين مدنها، فطالت مضايقاته الطلبة الجامعيين أثناء سفرهم بين تلك المدن، للالتحاق بصفوفهم الدراسية.

«مروان حمو» من مدينة قامشلو، طالب في جامعة حمص يقول: «ظهرت حركات احتجاج في جامعتي، ومعروف للجميع أنّ حمص من أولى المناطق الّتي غاب عنها الأمن، بل أن الحياة انعدمت فيها. وهذا ما حال دون أن أتخرج من كليتي، بعد أن كنت على

أبوابه، كما سجلت العديد من حالات الاعتقال العشوائي والتي طالت الكثيرين من الطلبة الجامعيين على الطرق المؤدية إلى حمص، والتي لم تقم بها قوات النظام فحسب، بل تعدتها إلى عدد من الكتائب الإسلامية أيضاً».

الاشتباكات وصراع الجهات المتنازعة على مناطق من الجزيرة كسري كانيه، دفعت الكثير من الأهالي للجوء إلى تركيا بعد تناحر الكتائب وتعرّض المدينة لقصفٍ بالطيران الحربي التابع لقوات النظام. وهذا اللجوء أدى لحرمان الطلبة من استكمال تحصيلهم الدراسي والعلمي.

«هيفي» طالبة جامعية قالت: «كان من السهل بالنسبة لي أن أقدم الامتحانات الجامعية، وأتابع دراستي في مدينة الحسكة، بعد نزوحنا من مدينة سري كانيه. لكن وبعد الذي تعرضت له مدينة حلب، بات الأمر يتحمل قدراً كبيراً من المجازفة، فكان النزوح لي ولعائلتي إلى تركيا أمراً محتماً، وخلاصاً من قذائف ونيران القوى المتصارعة».

أعدادٌ كبيرة لا يستهان بها من الطلاّب الجامعيين في منطقة الجزيرة، لم تسعفهم ظروف الحرب للالتحاق بجامعاتهم، نظراً للمخاطر التي شكّلت تهديداً مباشرة على أمنهم وسلامتهم. لم يجد هؤلاء بُدّاً من الالتحاق بجامعة تشرين في مدينة اللاذقية، لاستكمال اختصاصاتهم أو فروعاً تشبه فروعهم الأساسية، لتلاحقهم صعوبات وعوائق جديدة. فالإقبال الكبير لمعظم الطلبة الجامعيين ومن مختلف المحافظات السورية على هذه الجامعة، شكّل ضغطاً كبيراً على الطاقة الاستيعابية لها، ما خلق معوقات إضافية.

«جيهان محمّد» طالبة التحقت بجامعة تشرين، قالت: «أولى الصعوبات الّتي واجهتني، كانت تأمين تذكرة السفر الجوية، بعد انتظار طويل، والّتي تضاعف ثمنها أكثر من ثلاث مرات. إضافةً إلى مشكلة السكن الجامعي، فمن الصعب جداً الحصول على إقامة في السكن الجامعي بالنسبة للطلاب الوافدين من المحافظات بموجب النقل الشرطي. فتقاسمت مع زميلة لي تكلفة استئجار شقة صغيرة، رغم إمكانياتنا المتواضعة. ناهيك عن استغلال مالكي العقارات والشقق السكنية لحاجة الطلبة إلى السكن البديل عن السكن الجامعي، والذي شكّل عبئاً إضافياً علينا».

الاقتتال والحرب الدائرة في البلاد، ألقت بتبعاتها على الواقع السوريّ بكل جوانبه، فلم تكن معاناة الطلبة الجامعيين سوى عينة صغيرة من شرائح المجتمع السوري التي تعرضت للاستهداف من جانب قوات النظام وعدد من الكتائب المقاتلة. ما أدى إلى تقطّع السبل بهؤلاء الطلبة لاستكمال دراستهم وتحصيلهم، بعد أن أمسوا كغيرهم من السوريين، «شهداءً أو معتقلين، لاجئين أو ملاحقين»، سوى قلّة قليلة منهم وجدوا منفذاً لمتابعة الدراسة، سواء داخل البلاد أو في بلدان الشتات.

الديمقراطية والمجتمع المدني يسقطان الاستبداد

شفان إبراهيم

إن عصب العملية الديمقراطية يتجلى وبوضوح تام؛ من خلال أحقية الفرد المواطن في اختيار من سيحكمه. ويتم هذا الاختيار عبر مؤسسات ديمقراطية منتخبة من قبل أفراد الشعب، وكلٌّ بحسب مهنته أو هيئته. وحينها سيكون واجباً على الأفراد احترام هذا الحاكم، وسطوة القانون.

والمجتمع المدني يتجسد من خلال المنظمات غير الحكومية، من منتديات، وتجمعات شبابية ثقافية، وحركات اجتماعية. والتي بدورها تعتمد على مبادئ واضحة وشفافة تهدف لإيصالها إلى الهدف المطلوب، في ضمان حرية التعبير، والحفاظ على أهلية الشعب للإدارات في أي لحظة. كما يعتمد هذا المجتمع المتمدن على تقنية الاتصالات من انترنت وتلفزيون وراديو؛ بغية تنبيه الرأي العام الشعبي ومحاولة تجهيزه وتعبئته خارج حدود الطاعة العمياء لشخص الرئيس، والدعوة إلى الحفاظ على الدولة الوطنية والحالة الوطنية، وإشراك البشرية جمعاء، في محاولة منها للم شملها في منظومة ضاغطة على الأنظمة القمعية والاستبدادية؛ بهدف إسقاطها وإحلال الديمقراطية عوضاً عنها، والعمل على إرساء كل ما يلزم لتفعيل الحالة الديمقراطية ضد كل ما هو غير ديمقراطي، وما من شأنه أن يؤدي إلى خلل في العملية الديمقراطية، واستلاب المواطن سياسياً، وخاصة ضد التدخلات الرسمية الحكومية في شؤون الأفراد لمصلحة فئة ضيقة على حساب البقية. وهنا تجاهد هذه المنظمات التي تعمل على تعزيز السياسات الديمقراطية والاجتماعية والليبرالية، لتصبح المعبرة عن رغبة الشعوب وصون كراماتهم. ولا يمكن لهذا النظام الديمقراطي أن يوجد فعلياً في ظل غياب حركات اجتماعية تعمل داخل المجتمع المدني، كما لن يكتب لهذا النظام النجاح، ما لم يكن المواطن متمتعاً بدورٍ فعّال في المنظمات الاجتماعية والمجتمع المدني. وما أن يتم ذلك حتى يكون المواطن قد نال حظه في نظام يربط بفضاءات اجتماعية جديدة، تأخذ فيها جميع الطبقات الاجتماعية حقها ودورها بشكل ووتيرة متزايدة داخل الدولة الوطنية.

ومن الاستحالة بمكان؛ فصل المواطنة عن الديمقراطية، لأن هذه المواطنة هي الواجهة السياسية لحقوق الإنسان. والمواطنة مع الديمقراطية هما المسؤولان عن تطوير وتعزيز وتقوية مفهوم حقوق الإنسان، باعتباره حقاً عالمياً متلازماً مع حقوق المجموعات والأفراد، وغير قابل للتجزئة، أو الانشطار، أو الانشقاق عن الأفراد والمواطنين. وكلما تماهت (المواطنة – الديمقراطية) أصبحتا متماثلتين، وكأنهما وجها نبتة الوردة، لا يحتاج أحد إلى التمييز بين الوجهين. ولا يمكن إخفاء مزايا وأهمية الديمقراطية خاصة وأنها لم تعد حكراً على أحد أو على بلد أو نظام معين. كما لم يعد بالإمكان إخفائها عن ناظري الشعوب المضطهدة. فعصر المعلومات لم يعد بحاجة إلى مبانٍ شاهقة ولا إلى آليات ضخمة، بل هي أفكار مجردة تقدح في ذهن أناسٍ مغمورين في زوايا معتمة، تُبصر النور على اقتداح ذهنية كانت مقموعة. وهذه الأفكار لا تكون حبيسة الأدراج، بل هي مشاعٌ في متناول الجميع. وتساهم في تغيير الأفكار والارتقاء البشري، وإطلاع جميع شعوب العالم على كل جديد يخص الإنسان وحقوقه، ومفاهيم الحريات والديمقراطيات حول العالم.

إن تقدم الأمم يقاس بمقدار ما تملك من ديمقراطية، وهذه التقنية المتطورة وضعت الأمم كلها على خط الانطلاق المتساوي من ذات النقطة. وجعلت جميع شعوب العالم تعيد النظر في إرثها الثقافي ومشكلاتها المزمنة وسائر مألوفاتها، وتقاليدها، وعلاقاتها، وأنظمتها التربوية، وأنماط التفكير، والسلوك. ومن بين أكثر العوامل التي ساعدت على انتشار هذه الأفكار، انتهاء الحرب الباردة وتفكك الأيديولوجيات المجدة للشخصنة والمصنعة للديكتاتوريات. بل أنها حرمت الإيديولوجيات أو الحركات الراعية للاستبداد والشوفينيات من أية فرصة تمكنها من متابعة الزعم، بأن مشروعها يوفر نوعاً من إمكانية تحقيق سطوة وديكتاتورية على الشعوب. وكان ذلك إيذانا بانتشار وترعرع الكثير من الهويات السياسية بخصوصياتها القومية، ومميزاتها، واختلافاتها. فالنظم الشمولية والاستبدادية كانت إحدى الأسباب الرئيسية في سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي. هذه الأنظمة التي هدمت المجتمع المدني، ونسفت حقوق الشعوب، ولعل هذين الحدثين (الانهيار، التفكك) البارزين في كلا الدولتين كان أحد أهم ما ساعد على قيام النظم الديمقراطية. خاصة وأن هذه الأنظمة الشمولية كانت تطمح وتجنح إلى إعادة تشكيل الإنسان وفق أهوائها وتتحكم حتى في تركيبة الأسرة والصحافة والتربية وغيرها. كل هذه المعضلات التي عانت منها البشرية جراء تحكم الأنظمة الاستبدادية بها وبمقدراتها. جعلت البشرية ترفض الاستمرار في حكم مجموعة بشرية تألهت على حساب البشر والحجر. وكانت للعولمة الدور الريادي في فضح وهتك جميع الأعمال القمعية المستورة، وخاصة في الدول التي تصر على نسف التنوع القومي. لذا فإن إضعاف وإلغاء سطوة الأنظمة التي تعتمد على لون وقومية واحدة، في ظل تنوع قومي ولغوي وإثني، يعني انحسار الشمولية والاستبداد أمام المد الديمقراطي.

حتى أن الدول في الفترة التي تلي الشمولية تحولت إلى ديمقراطيات، وإن كانت لا تزال تحتفظ بشيء من الاستبداد، إلا أن البنية الاستبدادية تنهار شيئاً فشيئاً، وما فقدان سيطرة تلك الأنظمة على قطاعات اجتماعية مهمة إلا خير دليل على ذلك.

حراقات النفط في الجزيرة والأضرار الصحية والاقتصادية الناجمة عنها

كمال شيخو

ترتفع سحب الدخان الأسود إلى السماء وتستقر في الأجواء لعدة ساعات. أصوات التفجيرات غير ناجمة عن اشتباكات عسكرية أو عملية تفجيرية أو قصف جوي. وإنما تصدر عن مصفاة نفط يدوية الصنع. تخرج منها أعمدة دخان سوداء. لتتغير معها ملامح الناس وتمسي وجوههم شاحبة ومختنقة.

بلغت قيمة الأضرار التي أصابت قطاع النفط والغاز في سوريا جراء الأزمة المستمرة في البلاد منذ أكثر من ثلاثة أعوام ونصف، نحو 12.4 مليار دولار وفق مصادر رسمية. وانخفض إجمالي إنتاج النفط خلال النصف الأول من هذا العام إلى 17 ألف برميل يومياً، علماً أن مستوى الإنتاج كان 385 ألف برميل يومياً قبل اندلاع الاحتجاجات المناهضة للنظام منتصف آذار/مارس عام 2011.

ويتم بيع النفط الخام عن طريق تجار محليين من مدينتي دير الزور والجزيرة، وتكريره يدوياً بطرق بدائية من خلال خزانات الحراقات المنتشرة بشكل كبير في المناطق الشرقية الشمالية من البلاد، رغم ما تخلفه من حروق للعاملين فيها فضلاً عن الأبخرة والغازات التي تنبعث منها، والتي تؤثر بدورها على الصحة وتسبب الأمراض السرطانية.

وسائل بدائية

تنتشر الحراقات اليدوية في مدينة الجزيرة بشكل ملحوظ في جنوبي جل آغا والرميلان وديريك ومنطقة جزعة على الحدود العراقية. ومنطقتي الهول والشدادي 50 كم جنوباً، وبعض قرى تل تمر وسري كانيه.

حامد يملك مصفاة يدوية والتي تسمى بـ «الحراقة»، وهي عبارة عن خزان حديد مغلق يخرج منه أنبوبان، يعمل الأول على إخراج مشتقات تكرير النفط من مازوت وبنزين وكاز، أما الثاني فيخرج منه الماء لشدة الاحتراق. وعن مهنته المتعبة التي ظهرت أواسط صيف 2011، يقول «عم نفيق من الساعة 4 وش الفجر ونبقى نشتغل للساعة 4 العصر، بمعدل 12 ساعة يومياً»، عمل شاق ومرهق، يشرح حامد وضعه قائلاً: «ما في عندي مورد آخر اعتمد عليه لآمن دخل غير هل الشغل، قبل كنت اشتغل بالزراعة وتربية الغنم، هلا وبعد غلاء كل شيء انجبرت اشتغل هاي الشغلة لأنها تربحني مصاري كثير وتيسرلي حالتي».

أما جاسم وهو طالب جامعي يعمل مرافقاً لحامد، فبدأ كلامه بالمثل الشعبي الشائع «شو دفعك عالمر غير إلي أمر منه»، معبراً عن مشاعره الرافضة لمهنته التي حولت حياته إلى سواد بسواد، «مصروفي ما كان يكفيني وصرت عاجز كمل دراستي لهيك صرت اشتغل هل العمل – قاصداً الحراقة – وبعرف تماماً إنو كلها أمراض وتؤدي إلى مخاطر حقيقية».

وقال حامد صاحب الحراقة: «ننجبر نتحمل شدة الحر والتعب، وأوقات نبقى لساعة متأخرة بالليل»، وعن أجور العاملين معه أوضح أن «العامل يحصل على 2500 ليرة وهو دخل جيد مقارنة مع الوضع المعيشي الصعب».

والحراقة خزان مغلق له فتحه في الأعلى، يفرغ الفيول ويحترق بإشعال النار تحته، لتصل درجة الحرارة إلى الانفجار، وأول مادة تخرج عن طريق الأنبوب الأول هي البنزين، تليها الكاز، أما آخر مادة فهي المازوت، وتبقى في أسفل الخزان مادة الفيول المحروق والذي يباع أيضاً.

تكرير النفط هو من العمليات الضرورية التي يمكن من خلالها معالجة الزيت الخام، بتكسير هذا الأخير إلى مكوناته الأصلية وإعادة ترتيبها وتصنيعها إلى منتجات صالحة للاستعمال. أما مصفاة النفط فهي عبارة عن منشأة تستقبل النفط الخام وتفرز مواده إلى عدد كبير من المنتجات النفطية الاستهلاكية؛ كالجازولين والديزل ووقود الطائرات ووقود السيارات والنفط الأبيض والقار والمئات من المنتجات الأخرى.

جودة كل منتج

سير الدين يوسف صحفي متخصص بالشؤون الاقتصادية شرح الفرق الشاسع بين تكرير النفط بالطرق اليدوية وعن طريق المصافي، وأردف قائلاً «حجم مصفاة تكرير النفط العادية تساوي 10 أضعاف مساحة ملعب كرة القدم»، مؤكداً «إن الأهم الخزانات والأجهزة الطاردة للغازات والشوائب السامة والتي تعمل بمعزل عن البيئة الخارجية بعكس التكرير اليدوي الذي يتم فقط في خزان عادي مصنوع من الحديد، ويتم اشعال النيران حوله إلى أن يصل الخام الذي في داخله إلى درجة الغليان، فتنبعث منه سحب الدخان المليئة بالغازات السامة وتنتشر في البيئة المحيطة».

ويصطدم العاملون في تكرير النفط يدوياً، أحياناً بأنواع من النفط الخام الرديئة، فلا يُستخرج منها شيء، مما يضطر العاملين، لبيعها بسعر رخيص. ففي هذه المنطقة تغيب الكهرباء عن المدن والقرى أياماً وتنقطع ساعات طويلة، مما يدفع السكان للاعتماد على مصابيح الكيروسين بغرض الإنارة.

وعن جودة بدائل الطاقة المستخرجة يدوياً، شدد الصحافي سير الدين على أن «هنالك فرق كبير أيضاً في جودة الوقود المنتج من العمليتين، حيث لا تتم في العملية اليدوية التصفية الكافية الجيدة للشوائب والغازات وكذلك العزل بين مختلف أنواع الوقود من بنزين ومازوت وكيروسين وغاز وبقاء نسبة من الماء والأملاح داخل الوقود المنتج لعدم القدرة على التصفية الجيدة».

كما يفشل العاملون أحياناً في تكرير النفط، مما يضطرهم لبيع مادة زيت النفط، التي تُستخدم في بعض الصناعات والوقود. وقد تواجههم عقبات أخرى، تدفع هؤلاء إلى التكرير البدائي لرفع سعر المشتقات رغم رداءة جودتها، للتعويض عن خسائرهم اليومية.

وعن مخاطر انتشار تلك الغازات المنبعثة من دخان تلك الحراقات اليدوية، نوه الصحفي سير الدين يوسف إلى أن «النفط الخام يحوي في داخله غازات مميتة مباشرة وغير مباشرة، نتيجة تطايرها أثناء عملية الغليان والتبخير داخل تلك الخزانات اليدوية، ومن أهم تلك الغازات غاز H2S (كبريتد الهيدروجين) السام المميت في حال التعرض المباشر، والذي ينتج عنه في حال احتراقه غاز SO2 (ثاني أكسيد الكبريت) وهو أيضا غاز مميت». وتعتبر حاوية النفط أثناء التسخين أشبه بقنبلة موقوتة، قد تنفجر في أي وقت وتودي بحياة من يعمل في المصفاة.

وكان السوريون بدأوا العمل في تكرير النفط بعدما فقد النظام السيطرة على حقول نفطية في محافظة ديرالزور الصحراوية التي تضم أكبر احتياطي نفطي في البلاد، ثم انتشرت هذه المهنة في محافظة الجزيرة وعلى نطاق واسع قرب حقول النفط في المناطق الريفية.

تجارة رائجة

بعد أن فقدت الحكومة السورية سيطرتها على جميع حقول النفط والغاز لا سيما محافظة ديرالزور (شرقاً) الحدودية مع العراق، والتي باتت تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، الذي بسط سيطرته كذلك على مناطق واسعة في شمال العراق وغربه. بات إنتاج النفط من أبرز الموارد للتنظيم.

حسين خليل تاجر من مدينة ديرالزور يتنقل بين ينابيع النفط والتجار المحليين في مدينة الجزيرة والقامشلي. يقوم بشراء النفط الخام – الفيول – ثم يبيعه إلى تجار محليين يلجؤون إلى تكريره يدوياً عن طريق الحراقات، أكد خليل «عندنا بالمنطقة حوالي 100 حراقة تستهلك 5 أحواض نفط، ويستخرج منها براميل مازوت وبنزين وكاز عدا بقايا الفيول الذي يباع أيضاً».

وعن عملية الشراء يقول خليل «نقوم بشراء النفط الخام من الآبار النفطية عن طريق تجار وسطاء يشترونه من القوات التي تسيطر على تلك الآبار»، مضيفاً، «ثم نقوم بترويج هذه المشتقات بعد تكريرها إلى السوق المحلية في الجزيرة والقامشلي وديريك وتل تمر وسري كانيه، يعني نصدره إلى كل مناطق الجزيرة».

من جانبه كشف المهندس سليمان عباس وزير النفط في الحكومة السورية أن «الخسائر المباشرة التي تتعلق بقيمة كميات النفط والغاز المهدور والمسروق والبنى التحتية والمنشآت وخطوط النقل والآليات التي تعرضت للنهب والتخريب، جراء أعمال العنف، بلغت12.4 مليار دولار». أما الخسائر غير المباشرة فتشمل تأجيل إنتاج (النفط) وفوات منفعته، والتنقيب عن حقول جديدة.

وفي تصريح صحفي لوكالة فرانس بريس نشر بتاريخ 2014/07/22، كشف وزير النفط السوري «إن قيمة خسائر قطاع النفط المباشرة منذ بدء الأزمة بلغت 570 مليار ليرة سورية (3.5 مليار دولار) بالإضافة إلى 459.2 تريليون ليرة سورية (17.9 مليار دولار) خسائر غير مباشرة».

وكشف المرصد السوري لحقوق الإنسان أن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، يبيع النفط الخام إلى التجار، بسعر 2000 ليرة سورية للبرميل الواحد، أي ما يعادل نحو 12 دولاراً أمريكياً، وذلك بعد سيطرته على كامل حقول النفط، باستثناء آبار حقل الورد النفطي في ريف ديرالزور».

وبحسب المرصد «يشترط التنظيم على تجار النفط بيع برميل النفط الواحد بسعر 3000 ليرة سورية، أي ما يعادل نحو 18 دولاراً، وذلك في محاولة لكسب التأييد الشعبي في مناطق نفوذه»، وذلك في ظل الأزمة الإنسانية التي يعيشها الشعب السوري في كل المناطق، وخصوصاً في مناطق سيطرة «الدولة الإسلامية».

تطال الصحة والبيئة

عملية تكرير النفط يدوياً عن طريق الحراقات تؤثر على الصحة والبيئة، وستشكل بحسب الأطباء أحد أخطر الآفات في غضون السنوات القليلة القادمة فيما لو استمرت على هذا النحو.

من جانبه يرى الدكتور عبد المجيد صبري، رئيس هيئة الصحة في كانتون الجزيرة التابع للإدارة الذاتية، إن «الخطة التي وضعتها الهيئة للحد من هذه الظاهرة ستشمل فقط المناطق الخاضعة تحت سيطرتنا، لأن هناك مناطق لا تزال التنظيمات المسلحة كداعش تبسط نفوذها عليها»، ويشرح أن الخطة ستجبر العاملين في هذا المجال بالقيام بعمليات تكرير النفط الخام عن طريق حراقات كهربائية، مضيفاً «نحن في هذه الفترة لم نطبق الخطة وذلك بسبب وجود عوائل فقيرة تعتاش من هذه المهنة والتي طلبت منا أن نعطيهم فترة زمنية لكي يحولوا عملهم إلى الحراقات الكهربائية، وقد قررت الهيئة اعطائهم مهلة شهرين لوقف كافة الأعمال التي تضر بالمنطقة».

ويحذّر أطباء المنطقة من كارثة صحية قد تحصل في تلك المناطق نتيجة الاستمرار في تكرير النفط بالطرق غير المشروعة والبدائية وانتشاره بشكل كبير. مؤكدين ضرورة توعية أهالي المنطقة من المخاطر الناتجة عن هذا العمل.

ويرى الدكتور داؤود أحمد الأخصائي في الأمراض الصدرية والذي يستقبل كل يوم مريضاً من تأثير هذه الأدخنة على أقل تقدير، بأن «الأنف ذو وظيفة ترطيب وتنظيف للهواء الداخل إلى الرئتين لا يمكنه معالجة هذه الأدخنة وبذلك تصل قطيرات الدخان إلى الأسناخ الرئوية وبالتالي تمنع غاز النتروجين والأوكسجين من الوصول إليها»، ويضيف «سكان المناطق البترولية لا يتأثرون بها بشكل مباشر لكنّ التأثير الأكبر يكون على الإنسان المريض أو المثبط مناعياً أولاً، ومن ثمّ المدخن، ثمّ العامل في المجال وسكان المناطق القريبة».

ويرجح المرض إبراهيم عيسى الذي يعمل في مشفى خاص في مدينة قامشلو أن «وجود هذه الحراقات وبالكيفية الموزعة على مساحة 40 كم مربع، وضمن قرى مأهولة بالسكان، تتسبب في ضرر صحي كبير للأطفال بشكل خاص. حيث نستقبل يومياً حالات إسعافية تتعلق بضيق تنفس وتسمم»، ويستخلص أنه «على المدى البعيد سيكون هذا التلوث سبباً لانتشار أنواع من السرطان في المنطقة، ناهيك عن أضراره التي ستطال المحاصيل الزراعية والكثير من الحيوانات سيما الأغنام والأبقار».

«العنوسة» شبح خفي يطارد الفتيات الكرديات

روجين مصطفى

لم يكن قرارها الشخصي أن تبقى عانساً. فالأهل والمجتمع والعادات والتقاليد أجبروها على البقاء هكذا. جميلة من مدينة قامشلو/القامشلي والتي أفصحت عمّا بداخلها «لأول مرة منذ سنين طويلة»، تحدثت عن قصتها «كنت أصغر فتاة في عائلتي المكونة من أختين وخمسة شباب، وعندما تزوجتْ أختاي اللتان تكبرانني سناً، بقيت لوحدي في المنزل أُعين أبي العاجز وأمي المريضة»، أخوتها أجبروها على عدم الزواج والبقاء في المنزل لرعاية أبويها.

جميلة تضيف «إخوتي المتزوجون رفضوا رعاية والدي في منازلهم، بحجة زوجاتهم وعلى البنت – أي أنا – خدمة الوالدين في منزلهما الكبير»، عائلة جميلة منعتها من الزواج، وكانوا يطردون أي عريس يتقدم لها، حتى أصبحت تعاني من العنوسة التي جعلتها تعيش في وحدة حيث لا زوج يؤنسها ولا ولد يواسيها، تردف جميلة «بعد وفاة أمي وأبي أشعر بوحدة قاتلة، وكأنني كنت ضحية التقاليد العائلية والعادات، بات عمري واحد وخمسين سنة- ولا زلت أحنُّ لأيام الشباب، وأتمنى لو كنت متزوجة ولدي أطفال».

إن إحدى الظواهر التي تعيق حرية المرأة داخل المجتمع هي «ظاهرة العنوسة» التي تقيد حركتها وذلك برسم سياج من الخطوط الحمر والصفر وكل الألوان، تارةً بحجة الدين، وتارةً أخرى بحجة العادات والتقاليد البالية. هذه الظاهرة اقترنت مؤخراً بالهجرة في المناطق ذات الغالبية السكانية الكردية شمال شرقي سوريا.

«هيفرون» من مدينة عامودا تحدثت هي الأخرى عن تجربتها «على مدار اثني عشر عاماً تقدم لي الكثير من الشبان ولم أجد الشخص المناسب بينهم كي أكمل معه بقية حياتي، وبقيت هكذا حتى عمر الثالثة والثلاثين، حينها بدأ أهلي ومحيطي من الأقرباء والأصدقاء يضغطون علي من أجل الزواج قبل أن (يفوتني القطار) على حد وصفهم»، «هيفرون» قالتها صراحةً أنها كانت ترغب بإكمال حياتها على هذا النحو، إلا أنها اضطرت إلى الزواج أخيراً والسبب «للحد من الكلام الكثير والفارغ الذي يتفوه به بعض الناس لاسيما المحيط من الجيران والأقارب عن فتاة بعمري في مجتمع كردي شبه محافظ وخوفاً من شبح من العنوسة الذي كان يطاردني خفية»، بعدها تزوجت «هيفرون» من شخص لا يكبرها سوى بسنتين وكانت تخشى عدم التوافق معه ولا تزال تعيش هذه الحالة، مضيفة «أطباعنا وأفكارنا مختلفة وكنا نتجنب منغصات الحياة ونحاول جاهدين خلق حالة من التفاهم والعيش سوية»، لتعود وتشير بأنها «لا تنكر أنها لم تكن ترغب في الزواج، ولكني الآن اقنع نفسي، بأنه واقع علي معايشته»، شيئاً فشيئاً تشعر «هيفرون» أنها سعيدة مع زوجها، لاسيما بعد أن رزقت بطفل، إلا أنّ شبح الفشل والانفصال لا يزال يطاردها فالعديد من الزيجات التي تشبه حالتها كانت نتيجتها الطلاق على حد قولها.

المجتمع الكردي عانى من أزمات اقتصادية كثيرة، أجبرت الكثير من الشباب على العزوف عن الزواج، كالفقر وقلة أو غياب فرص العمل والظروف الأمنية الصعبة، سيما في الآونة الأخيرة، بعد اندلاع الثورة السورية وتأثيرها على المناطق الكردية، كل هذا زاد من مأساوية المشهد وتأثيره السلبي على المجتمع الكردي وعلاقاته الاجتماعية بما فيها الزواج، بين فئة الشباب التي باتت أمام تحديات كبيرة، في ظل التردي الاقتصادي والأمني والهجرة.

الواقع الصحي في الجزيرة
«غياب التوثيق الحقيقي لتداعيات التدهور والانزلاق»

سوز حج يونس

منطقة الجزيرة تلك الرقعة البعيدة المستلقية على الزاوية الشمالية الشرقية من سوريا. المهمّشة بحكم الجغرافيا وبعدها الشاسع عن العاصمة، والتي تتبع فيها الحكومة سياسة المركزية. والمهمّشة لأسباب أخرى لها علاقة بديموغرافيا المنطقة، كون القاطنين فيها هم في منظور حزب البعث ذي التوجه القومي الشوفيني مواطنين من الدرجة الثانية. فكان الإهمال الخدمي والصحي والإقتصادي والثقافي من نصيب هذه المنطقة بامتياز، كإجراء احترازي من قبل الحكومة المركزية تارة، وكإجراء عقابي بحق سكان هذه المنطقة التي تمتاز بتنوعها العرقي والحضاري تارة أخرى.

مع بداية الأزمة التي تعصف بالبلاد، كانت منطقة الجزيرة أولى المناطق التي تأثرت خدمياً وصحياً، فأمست المستشفيات الهزيلة أصلاً بمعداتها وخبراتها، مفتقرة لأبسط الأساسيات الطبية، وظهر النقص الحاد في كثير من أنواع الأدوية. واليوم وبعد مرور ثلاث سنوات من عمر هذه الأزمة، نجدُ أنّ الأمور تسير إلى الأسوأ، فمثلاً وقبل أيام قليلة صُعق أهالي مدينة الحسكة بحادثة وفاة السيدة «حنان دلو» وهي مديرة مدرسة ثانوية في الثلاثينيات من عمرها أجريت لها عملية قيصرية، وكانت بحاجة للدم، فقدموا لها كيس دم من بنك التبرع في المدينة، ولكنّها توفيت إبّان ذلك، لأنّه تبينَ أنّ الدمَ الذي أعطي لها كان فاسداً!. كان من المفروض أن يكون هذا الدم وسيلة لإنقاذ الحياة لا وسيلة للموت، وكان واجباً أن يكون ذلك الدم محفوظاً في حافظات مخصصة، وأنْ تُجرى عليه الفحوصات اللازمة وتدوّن عليه كامل البيانات من حيث تاريخ التبرع، والشخص المتبرع به، وأن يتمَّ التأكّد من خلوّه من الأمراض وما إلى ذلك. ومذ ذاك فإن كثيراً من أهالي المنطقة يتداولون نكتة مفادها أنّه إن لم تمتْ برصاص طائش فستموت على أسرة أحد المشافي.

ومع البحث عن حقيقة ما جرى، رفض رئيس أحد الأقسام في المشفى الوطني بالحسكة، التعليق عن الموضوع، واعتبر أن هذا من «أسرار المشفى التي لا يجوز البوح بها»، أضف إلى ذلك، خوفه من أن يُسرح من عمله.

مما لا شكَّ فيه أنّ موضوع الصحة والغذاء والخدمات مترابط ومتداخل بقوة، بعد تحوّل الكثير من المنتجات إلى خطر كبير على الصحة، وخاصة منتجات اللحوم. حيثُ أكّد عاملون في مجال الصحة الحيوانية ومؤسسة التموين المشلولة أصلاً: أنّ «أغلبَ هذه المنتجات – سواء ذات المصدر الداخلي، أو تلك الآتية عبر الحدود – تُعتبرُ خارجةً عن الرقابة الصحية، والتموينية وبنسبة 85 ٪»، فيكفي أنْ تعرفَ مثلاً، أنَّ المسلخَ لمْ يُعقّم بالمبيدات اللازمة خلال السنتين الأخيرتين، فبات بذلكَ مصدراً لكثير من الأمراض. وهذه الأمور غير خافية على أحد فالجميع يعرف أن لا فحوصات تُجرى على اللحم المذبوح لا فيما يخصُّ مرض (الحمّى المالطية) الذي يصيب الماشية، وينتقل للإنسان عن طريق استهلاك اللحم المصاب، ولا فيما يخصُّ الفحوصات المتعلّقة بخلوِّ اللحم من الديدان وحويصلاتها وغيرها من الأمراض. وهذا ما لا ينفيه أحد العاملين في دائرة الصحة الحيوانية.

أمّا مُنتجاتُ اللحوم المجمّدة التي انتشرت مؤخراً وبشكلٍ كبيرٍ في المنطقة قادمة من دول الجوار، فكانتْ في حالات كثيرة فاسدة وتسببت بالكثير من حالات التسمّم، ومؤخراً تم إتلاف ما يقارب من 2000 وحدة فروج مجمّد في مدينة قامشلو/القامشلي لكونها فاسدة. وسُجّلت كذلك حالات لمنتجات مثل المعلبات وحليب الأطفال منتهية الصلاحية، تُعرض للبيع دون أية رقابة. كما أنّ تقاعسَ البلديات التابعة للنظام في أداء وظيفتها أثّر وبشكلٍ سلبي على الصحة العامة. فأكوام القمامةً وأعداد الذباب المتزايد وما رافقها من انتشار الأمراض والأوبئة أدّى إلى انتشار الأمراض. فعلى الأقل سُجلّت في العام الفائت حالات لما يسمى بـ (حبة حلب) أو اللشمانيا في منطقة الجزيرة والتي تسبّبها ذبابة تنشط في المستنقعات وأكوام القمامة.

أيضاً، من الأمور الهامة التي أثّرت على الصحة والبيئة معاً، وكان لافتاً وبشكل كبير خلال الأزمة، مسألة الوقود المكرّر بطرق بدائية باستخدام الحراقات (عبارة عن مصافٍ بدائية) وغيرها. فازدادت حالات الحساسية في العين والحنجرة والأنف من جراء استنشاق دخان مولدات الكهرباء. وذكر مركز «روج لحماية البيئة» في تقريره السنوي أنّ «ما لا يقلّ عن 40000 مولّدة تعمل في المدن والأرياف في منطقة الجزيرة». كما ظهرت حالات اختناق مأساوية وخاصة خلال فصل الشتاء، حيث سُجّلت حادثة مأساوية لاختناق ثلاثة أفراد من عائلة واحدة في مدينة الحسكة بدخان مولّد كان موضوعاً ضمن المنزل. إضافة إلى عديد الحالات من سرطان الجلد دون وجود احصائيات دقيقة للمتضررين الحقيقيين.

المهندس إبراهيم حج يونس المختص في مجال الثروة البترولية يؤكد أنّ «التكرير البدائي للبترول يُبقي على ما يُقارب من ثلاثة آلاف مادة سمية ومشعّة في الوقود المستعمل، ويكون عرضة للانفجار نتيجة لتراكم الغازات المرافقة له، وهذا ما يؤثر بدوره على صحة الإنسان وبشكل كبير». يضاف إلى لك ذلك، مسألة المياه وشحّها من جهة وتأثيرها على النظافة العامة والتي أثرت سلباً على الواقع الصحي في المنطقة. فسجلت مدارس مدينة الحسكة حالات من الإصابة بالقمل بين أطفال العديد من المدارس في المدينة. كما تحول الماء نفسه إلى وسيلة لنقل العديد من الأمراض، إذا لم تراعى فيه شروط التعقيم الضرورية. وكثيراً ما تُثار مخاوف حول تعقيم المياه في المحطة الخاصة بالمدينة، وهذا ما دفع عدد من المنظمات المدنية لإعلان حالة الطوارئ فيما يخص نسبة الكلور المستخدم في تعقيم المياه. وأكدت أكثر من مرة عن نفاد هذه المادة، وعدم جواز استخدام هذه المياه للأطفال، كونها غير معقمة بشكل كامل.

النقص الحاد في الأدوية كان من الأمور اللافتة أيضاً خلال الأزمة، لتنشط مع ذلك، حركة إدخال الدواء عبر الحدود دون التدقيق على أمور متعلقة بانتهاء صلاحية الدواء، أو كونه دواءاً بديلاً مختلفاً من حيث تركيز المادة الفعّالة، عن الدواء الوطني الذي اعتاد المريض تناوله. وهذا خلق كثيراً من التبعات الصحية على المرضى.

منظمة الهلال الأحمر الكردي (Heyva Kurd A Sor) من المنظمات غير الحكومية التي كان نشاطها لافتاً خلال أزمة نقص الدواء وحليب الأطفال. وفي زيارة إلى أحد فروعها أكّد عبد العزيز خلف، أحد المخبريين العاملين مع المنظمة: أنّ «النقصَ الحاد في الأدوية ظهر بدرجة كبيرة فيما يخصّ أدوية السرطان، ثم أدوية أمراض القلب والسكري». مؤكداً أن «المنظمة تعمل على تأمينها من خلال المساعدات الدولية التي غالباً ما تتأخر كثيراً». مشيراً إلى أنه «لو تجاوزت المدة شهراً واحداً نقوم بإرجاع الشحنة كاملة».

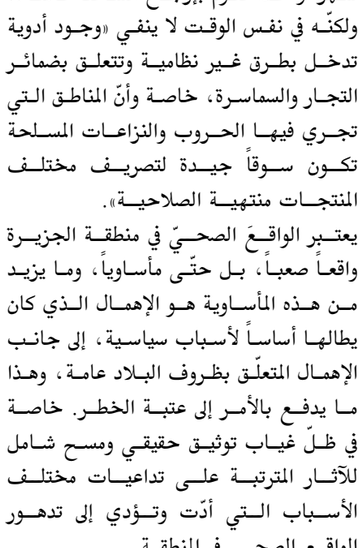

ولكنّه في نفس الوقت لا ينفي «وجود أدوية تدخل بطرق غير نظامية وتتعلق بضمائر التجار والسماسرة، خاصة وأنّ المناطق التي تجري فيها الحروب والنزاعات المسلحة تكون سوقاً جيدة لتصريف مختلف المنتجات منتهية الصلاحية».

يعتبر الواقعَ الصحيّ في منطقة الجزيرة واقعاً صعباً، بل حتّى مأساوياً، وما يزيد من هذه المأساوية هو الإهمال الذي كان يطالها أساساً لأسباب سياسية، إلى جانب الإهمال المتعلّق بظروف البلاد عامة، وهذا ما يدفع بالأمر إلى عتبة الخطر. خاصة في ظلّ غياب توثيق حقيقي ومسح شامل للآثار المترتبة على تداعيات مختلف الأسباب التي أدّت وتؤدي إلى تدهور الواقع الصحي في المنطقة.

حوار مع الكاتب ريدي مشو

– أيـن تكمـن الثـورة في وجـدان المثقـف، وهـل لميراث الثـورات العنفـي نتـاج جمالـي أو رؤيـوي يمكـن للمثقـف أن يدعـم بـه أي تحـول في مسـار الثقافـة والفكـر؟

أعتقد بـأن الثـورة لا تمثـل قيمـة بعينهـا لدى المثقـف الـذي تـدرّب مـراراً علـى الثـورات الشـعورية الممتـدة منـذ فجـر التاريـخ حتـى الآن، بمعنـى آخـر المثقـف لا يحيـى الثـورة بذاتهـا بقـدر مـا يحياهـا كمـا كان يراهـا هـو مـن قبـل، أي رؤيتـه المسـبقة عـن الثـورة. وعلـى ضـوء ذلـك يمكننـا القـول؛ بـأن المثقـف هـو أكثـر النـاس تعنتـاً للاسـتجابة للثـورة الناشـئة. ومـن ناحيـة أخـرى ليـس في سـوريا عـددٌ كافٍ مـن المثقفـين الأحيـاء، المثقفـين الفعليـين، وحتـى هـؤلاء القلّـة تشـتتوا بـين أنانياتهـم الثقافيـة وبـين مـا تقدمـه منظومـة الثـورة بـكل تشـعباتها الفكريـة والسياسـية، فمثـلاً أدونيـس وسـليم بـركات، أدونيـس أبـدى رأيـه منـذ بدايـة الثـورة وتنبـأ بمصير الثـورة قبـل أن تبـدأ، رؤيتـه كانـت قـراءة فكريـة تمامـاً، وكان منطقيـاً في معظـم مـا قالـه حتـى الآن، وكـردة فعـل علـى أدونيـس ظهـر المثقفـون الآخـرون، المثقفـون الصغـار، كضـدٍ لرؤيـة أدونيـس، وحتـى الآن هـؤلاء الصغـار مسـتمرون بمهاجمـة أدونيـس «العلـوي»، موقـف أدونيـس هـو موقـف المشـاهد للأحـداث وليـس المشـارك فيهـا، أي أن أدونيـس بتكوينـه الثقـافي المعقـد لـن يتدخـل في أي ثـورة سـواء خرجـت مـن الجامـع أو مـن وول سـتريت، وسـيبدي رأيـه في كلاهمـا بـكل هـدوء ولا يحتـاج إلى انفعـال كثيـر حتـى يبـدي رأيـه في أيّ شـيء، لأنـه شـخص عرف الحريـة بأشـكالها الواسـعة ولا يمكـن لأي ثـورة أن تمنحـه المزيـد!.

أمّـا سـليم بـركات؛ هـو الواجهـة الأخـرى للمثقـف السـوري الـذي تـدرب علـى مشـاكل غـيره أكثـر مـن مشـاكله، وفي بضعـة مقـالات نشـرها بخصـوص الوضـع السـوري، كان مهتمـاً بحـزب الله أكثـر مـن أي شـيء آخـر وكأنـه يعيـش في لبنـان الآن!، وعلـى شـاكلة سـليم وأدونيـس إنمـا يُرتـب المثقفـون الكبـار انتماءاتهـم للثـورة، ومنهـم مـن تحـول مـن مثقـف إلى مراسـل للأحـداث ونسـي دوره بـين الجمهـرات كلياً.

وفيمـا يتعلـق بمـيراث الثـورة العنفـي، فهـو بالتأكيـد ذخـيرة حيـة لـكل المشـاريع القادمـة الأدبيـة والفنيـة منهـا، والسياسـية والفكريـة، فهـذا التشـتت الـذي يحصـل يومـاً بعـد يـوم في مسـار الثـورة إنمـا يهـدم رؤيـة جماليـة كانـت موجـودة قبـل ثـلاث سـنوات، ويؤسـس في الوقـت نفسـه لرؤيـة جماليـة أخـرى ألا وهـي الالتفـاف إلى الأجـزاء والتفاصيـل ورفعهـا مـن تحـت ركام الـرؤى الشـمولية الجميلـة!، ودعمهـا بإضافـات فكريـة وسياسـية جديـدة. عـادة مـا ينتـج العنـف، لاحقـاً، رؤى جديـدة أكثـر نقـاءً، وكمثـال يمكننـا التحـدث عمـا انتجتـه الحـرب العالميـة الثانيـة مـن تغـيرات في عـالم الفـن والأدب والفكـر والسياسـة وكأن الحيـاة لم تكـن قبـل الحـرب العالميـة. أنـا متفائـل بـأن هنـاك طاقـات كبـيرة سـتظهر في سـوريا جـراء هـذا العنـف الرهيـب المرتكـب مـن كل الجهـات؛ انطلاقـا مـن دعـوات سياسـية وفكريـة متباينـة، لكـني لسـت متفائـلاً في الوقـت نفسـه بمسـتقبل سـوريا السياسـي كدولـة في السـنوات القادمـة.

– كونـك ولـدت في بيئـة يسـودها التنـوع القومـي والديـني والثقـافي وعشـت في أكثـر مـن مدينـة سـوريّة، تقـوم الآن بتدريبـات في فـض النزاعـات وثقافـة السـلم، هـل هنـاك مـا يعـوّل عليـه في الجهـود المبذولـة لترسـيخ السـلم الأهلـي والتعايـش، أم أن صيرورة الأحـداث تفـرض أكثـر ممـا تصبـو إليـه؟

إن كنـا سـنتكلم عمّـا سـبق مـن سـلم مفـروض علـى التيـارات القوميـة والدينيـة، وأنّـه ينبغـي لنـا الرجـوع إلى تلـك الحالـة فنحـن واهمـين لدرجـة كبـيرة، فلـم يكـن هنـاك سـلمٌ بمعنـى الكلمـة بـين تشـكيلات المجتمـع بشـكلها الواعـي والراقـي فكريـاً، وليـس هنـاك معنـى لسـلم مفـروض، ولـو أنهـا خطـوة ضروريـة للسـعي نحـو تشـكيل العقـد الاجتماعـي، لكـن اسـتمرار حالـة الفـرض إنمـا هـو ضمـان أكيـد بعـدم خلـق ذاك العقـد، وأننـا فقـط نحافـظ علـى قنبلـة موقوتـة للتفجـير حسـب الطلـب. حينمـا نتحـدث عـن السـلم في هـذه المرحلـة فإننـا بذلـك نحـاول إلغـاء انفجـار كامـن قـد يحـدث في المنطقـة ليـس فقـط في القامشـلي بـل في كامـل المـدن السـورية وبـين كافـة الشـرائح، فحينمـا كنـت في حلـب كان أصدقائـي مـن إدلـب وحلـب يتكلمـون بغيـظ عـن العلويـين وكيـف أنهـم سـينالون منهـم في وقـتٍ لاحـق، ولم يكونـوا يتحدثـون عـن النظـام بذاتـه، بـل عـن العلويـين وكنـت أعـرف أن دافعهـم كان دينيـاً ولم يكـن سياسـياً، وكذلـك في الشـام، بمعنـى آخـر كان النـاس جاهـزون لمثـل هكـذا ثـورة بطابعهـا الديـني أكثـر مـن ثـورة سياسـية ذات أهـداف محـددة، وعلـى ضـوء هـذا كيـف يمكننـا أن ندعـم ثقافـة السـلم الأهلـي والتعايـش؟؟. مـن خـلال الورشـات التـي أقمتهـا وجـدت أن هـذه الجهـود لا يمكنهـا الصمـود في وجـه هـذا الضـخ الفكـري – العسـكري المتصاعـد بصـورة مرعبـة كل يـوم، لكـني ومـع ذلـك متأكـد، كونـي أنـا بذاتـي متأثـر بهـذه الثقافـة وأسـعى في شـعابها، أنـه ولابـدّ أن يتواجـد مئـات مـن الفتيـات والشـباب ممـن يمكنهـم أن يحدثـوا فرقـاً كبـيراً علـى أرض الواقـع مـن خـلال أقلامهـم أو فعالياتهـم الميدانيـة مـن حمـلات أو ورشـات في أماكـن مختلفـة، ولـو أننـا، أي مـن يتخـذون هـذا الجانـب النضالـي، قـد لا نسـتطيع الوقـوف في وجـه أمـراء الحـرب الخيّريـن منهـم أو الأشـرار، واعتقـد أن دور ثقافـة السـلم الأهلـي

ستكون فعالة في مرحلة لاحقة حينما تتوقف جبهات القتال الواسعة وتنحصر في بؤر ضيقة، وللوصول إلى تلك المرحلة ينبغي الاستعداد لذلك وتجهيز شريحة شبابية ناشطة في هذه المجال، حينها ستكون لدينا حربنا العادلة مع متطرفي الفكر العسكري – السياسي.

– كعازف وملحن، أين تتموضع الموسيقا في ظل كل هذا الدم والهياج والركام ؟

الجواب قد يكون هو السؤال نفسه، كون الموسيقا تتموضع في ظل الدم والهياج والركام في الوقت الحالي، في بداية الثورة قدم السوريون مثالاً صارخاً لروعة ثورتهم السلمية من خلال الأغاني الفلكلورية التي غيروا مضمونها لتتحول إلى أغنية ذات مضمون ثوري مقبول من كافة الشرائح، لكن وبعد فترة قصيرة وحينما أخذ النظام يقتل المتظاهرين، انقلبت المضامين إلى شتائم وكلمات لاذعة وغير محتشمة واستمر صعود هذه الأغاني لحدٍ كبير. وكتأكيد لأهمية الأغنية يمكنني أن أذكر بأنه في ورشاتي التي أقمتها في تركيا، كان بعض الناشطين المدنيين يغنون أغنيات تابعة لداعش (تنظيم الدولة الإسلامية) أو جبهة النصرة وهم مستمتعون وكانوا يطلبون مني أن أعزفها على طمبوري! ، وحينما كنت أواجههم، كانوا يقولون بأنهم يسخرون منهم ليس أكثر وأنهم مناهضون لفكر هذه الجماعات، لكن الحقيقة هي أن داعش وصل إلى ما يمكنه الوصول إليه بالسلاح من خلال الأغنية، وعلى هذه الوتيرة لم تقم المعارضة المعتدلة بأي فعالية تدارك. لم يظهر فن ثوري بمعنى الكلمة في سوريا حتى الآن، أي ذاك الفن الذي يسموا على تطلعات أطراف الثورة ويتوجه مباشرة إلى قلب الثورة الذي يحيا فيه كل الناس لا بل كل العالم، وبدوري كوني أعمل على هذا الجانب منذ سنوات، أجدني متلكئاً في المضي قدماً بطريقتي في طرح الثورة، لأن الرؤى السياسية المباشرة أو دعم طرف معين مقابل الأطراف الأخرى غائبة عن أغنياتي، بالنسبة لي الفن يعلو السياسة بأشواط في جميع المعايير، وأنا أسعى لفرض قيمة فنية جديدة على الساحة الثورية الفنية، وهذا هو مشروعي الحالي.

إلى أين يأخذنا الحديث حين يُذكر اسم كوباني التي تحولت من مدينة صغيرة ومهمشة إلى أكثر الأسماء المطروقة حالياً ضمن الإعلام والتحليلات السياسية والعسكرية؟

يُذكرني ما يحدث في كوباني بأحاديثي في بداية الثورة، حينما كنت أقول لأصدقائي من الكرد والعرب على حد سواء، بأن الكرد في سوريا سيلعبون دوراً بارزاً في استقرار سوريا كما كرد العراق، وأن الدعم الدولي الفعلي سيكون إلى جانب الكرد أولاً، وكانوا يسخرون من كلامي كون الكرد متهادنين مع النظام السوري لحد كبير، والتحرك الدولي حالياً لم يحصل ضد داعش إلا عندما هُدد أمن إقليم كردستان، والآن كوباني تتصدر العناوين جمعياً، بعض هذا التضخيم كان سلبياً إذ قامت به تركيا بداية، والتضخيم الآخر قام به بعض الناشطين السوريين ممن بقوا مندهشين من هذا التهافت الدولي على كوباني، وكيف إن ما يحصل في كوباني، برأيهم، ليس إلا شعرة في بحر الدم السوري، ولم يستطيعوا أن يروا فيها مدينة سوريّة تنقذ! ، والدعاية الإيجابية قامت بها بعض الدول الأوروبية والمحللين السياسيين والعسكرين حينما وجدوا في تقدم داعش نحو كوباني بهذه الشراسة نقطة انعطاف في حروب داعش وعليهم التركيز على ذلك إلى أبعد حد، لكن وبكل المقاييس لم تكن كوباني لتكون لولا أنها مدينة كردية وكون المقاتلين فيها معظمهم من الكرد، هذا هو التوجه الدولي شئنا أم أبينا في هذه المرحلة. لكن للأسف ومع كل هذا التهافت الدولي حول الشأن الكردي، تجد الكرد يحاولون أن يفتحوا قنوات مع الجميع ويهملون الحالة الكردية، ولا يزال مبدأ الخيانة أو الاستهانة هو الأقوى على المستوى الكردي، وكوباني ستكون امتحاناً للكرد قبل أن تكون امتحاناً للدول الكبرى، وما يحدث من انكسار في كوباني هو ليس إلا مدّاً للانكسار والانقسام الكردي القديم. ينبغي أن تحدث تغيرات كبيرة ما بين الأطراف الكردية، وإلا لن يرى الكرد النور لفترة طويلة، ولو كانوا يقفون أمام شبابيك مفتوحة على اتساعها، هذا امتحان بكل تأكيد.

ما الذي أضفته لمشروع «متشاركون» الهادف لدعم المشاركة السياسية والاجتماعية للمرأة، وما الذي أضافه المشروع لريدي مشو؟

اعتقد أنني أضفت رؤية جديدة حول طريقة التدريب، وتخليت عن البعد النظري والمعرفي الذي تركز عليه الورشات عادة، أي برأيي أن تمكين المرأة يبدأ عندما تعلمها كيف تقرأ واقعها وكيف تحلل وتتعامل مع مشاكلها بطريقة عملية بعيداً عن التنظير، كان الأمر متعباً بالتأكيد، فالمتدربون قد تعودوا على المدرب الذي يعطيهم مجموعة نصائح وبضع معلومات، لكني خلال الورشات جعلت من كل متدرب مدرباً وفق معلوماته ووعيه بمشكلته ولم أضف إلى ذلك إلا بضع توجهيات ليسيروا في الطريق الصحيح تحليلًا ومعالجة، والنتيجة كانت جيدة جداً برأيي فيما يتعلق بمخرجات الورشة وطريقة معالجتهم لها.

وبالنسبة لتأثري بمشروع متشاركون فهو متشعب، بداية كان وجود الرجال في الورشة أمراً ملفتاً، وكيف أن وجودهم كان جوهرياً في إدارة الورشة إلى جانب المرأة. جزءٌ آخر من تأثري متعلق بالحالة المعرفية، إذ اندفعت لقراءة المجتمع بشكل أكثر دقة وتحليله بشكل أكاديمي أكثر، والجانب الآخر متعلق بالثقة، فمنذ الورشات الأولى أحسست بأنه يمكنني أن أضيف شيئاً إلى حياة الآخرين ولم أعد أقول بأن صوت الرصاص أو الأموال أقوى من أي صوت آخر، ووجدت أهمية وجودي في هذه المرحلة في مدينتي لأتعامل مجدداً وبثقة أكبر من ذي قبل مع ساكنيها من الكرد والعرب والسريان والآشوريين والأرمن، لأنه يوجد على الدوام من يمكنهم أن يحدثوا الفرق على الأرض، وهذا اعتقاد بدأت اكتسبه يوما بعد يوم.

تجنيد الأطفال... نظرة قانونية في ضوء المواثيق الدولية

أحمد إلياس

يعد الأطفال من أبرز ضحايا الحروب والنزاعات عبر العالم، نظراً لحاجة الطفل إلى أسرة ومجتمع محلي يوفران له بيئة ملائمة من الرعاية والحماية. ناهيك عن حرمانهم من الحق في الحصول على التعليم والعناية الصحية والرعاية الاجتماعية المناسبة. ما يؤدي إلى خلق جيل مفكك ومتأزم نفسياً، يفتقد إلى الحد الأدنى من المهارات التي يمكن من خلالها المشاركة في بناء المجتمع. ففي ظل الحروب قد ترتكب بحق الطفل أبشع الجرائم والانتهاكات، التي يأتي في مقدمتها التجنيد والإجبار على الانخراط في الأعمال المسلحة، وهو ما يمثل واحداً من أسوء صور الجانب المأساوي للنزاعات المعاصرة، ولاسيما الداخلية منها.

وإذا تتبعنا بعض الإحصائيات البسيطة في هذا المجال، نجد أن عدد الأطفال الذين أجبروا على النزوح واللجوء جراء الحروب والنزاعات خلال عام 2008، بلغ نحو ثمانية عشر مليوناً، فيما بلغ عدد الأطفال المجندين حول العالم أكثر من 300 ألف طفل في أكثر من 30 بلداً. وتراوحت أعمار هؤلاء الأطفال بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة، مع وجود عدد لا يستهان به ممن لم يبلغوا الثامنة أو السابعة من العمر. فخلال الحرب الأهلية في ليبيريا وحدها، وصل عدد الأطفال المجندين من قبل أطراف النزاع إلى 40٪ من إجمالي القوات المقاتلة بمجموع كلي وصل إلى 21 ألف طفل، من أصل 53 ألف مقاتل.

هذا الوضع تكرر في العديد من النزاعات الأخرى، فسجل تقريرٌ لمجلس حقوق الإنسان بخصوص سوريا، والذي شمل الفترة الممتدة بين 15 تموز/يوليو من العام 2013 إلى 20 كانون الثاني/يناير من العام 2014، لجوء معظم الأطراف الداخلة في النزاع إلى تجنيد الأطفال. كما يشير التقرير إلى قيام حكومة النظام السوري بتجنيد الأطفال من سن الثالثة عشرة وتسليحهم واستخدامهم في نقاط التفتيش. إلى جانب إقدام بعض أطراف المعارضة المسلحة كحركة أحرار الشام الإسلامية وجبهة النصرة (تنظيم القاعدة في بلاد الشام) وداعش (تنظيم الدولة الإسلامية) بتجنيد الأطفال، سواء في الأعمال القتالية أو في نقاط التفتيش، وحشو الأسلحة بالذخيرة.

ونظراً لخطورة قضية تجنيد الأطفال وانعكاساتها الشديدة، فقد تعاظم الاهتمام الدولي بهذه القضية، من خلال العديد من الاعلانات والاتفاقيات الدولية التي تتناولها وتعالجها. ومن أهمها اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949، وبروتوكوليها الإضافيين لعام 1977، والبروتوكول الإضافي الثالث لعام 2005، والمتعلق بالحماية العامة لجميع الأشخاص المتضررين من النزاعات المسلحة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واتفاقية منظمة العمل الدولية، واتفاقية حقوق الطفل لعام 1989، والإعلان الخاص بحماية الأطفال والنساء في حالات الطوارئ أو النزاعات المسلحة لعام 1974، والإعلان العالمي لبقاء الطفل وحمايته ونمائه لعام 1990، وإعلان عالم جدير بالأطفال لعام 2002. وتجذر وترسخ هذا الاهتمام لاسيما بعد انتقال القضية من أجندة اختصاصات المجلس الاقتصادي والاجتماعي والوكالات المتخصصة إلى نطاق أهم أجهزة الأمم المتحدة، والمقصود

بذلك الجمعية العامة ومجلس الأمن الدولي. ولا يخفى أهمية تبني المجلس للقضية كونه الجهاز التنفيذي المعني بالحفاظ على الأمن والسلم الدوليين. إلى جانب صلاحيات القوة الإلزامية لقراراته، وهو ما يعني وجود صلة مباشرة بين تجنيد الأطفال من جهة، وتهديد الأمن والسلم الدوليين من جهة أخرى.

وتلزم الاتفاقيات والإعلانات الدولية على تحديد سن الخامسة عشرة كحد أدنى للتجنيد، كاتفاقية حقوق الطفل (المادة 28 الفقرة 2). وكذلك البروتوكول الأول والثاني الملحقين باتفاقيات جنيف لعام 1977 (المادة 77 الفقرة 2 من البروتوكول الأول الخاص بالنزاعات الدولية، والمادة 4 من البروتوكول الثاني الخاص بالنزاعات الداخلية)، واللتان تنصان على عدم جواز تجنيد الأطفال دون سن الخامسة عشرة وعدم السماح لهم بالمشاركة في الأعمال القتالية.

يعتبر حكم المحكمة الجنائية الدولية الصادر بتاريخ 14 آذار/ مارس لعام 2012، ضد المدعى عليه توماس لوبانغا دييليو،أول حكم من نوعه في قضية تتعلق بجريمة تجنيد الأطفال. حيث اتهم لوبانغا بتجنيد أطفال دون سن الخامسة عشرة بشكل إجباري أو طوعي في القوات الوطنية لتحرير الكونغو واستخدامهم في الأعمال القتالية. وقد أرسى الحكم سابقة هامة في سياق تحديد مفهوم المشاركة الفعلية للأطفال المجندين، وفي تقرير عدم التفرقة بين حكم السوق الإجباري والتطوع كشكلين للتجنيد، وترتيب كامل الآثار القانونية المترتبة عليه.

ووفق النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية يعد تجنيد الأطفال دون سن الخامسة عشرة جريمة دولية تندرج في إطار

جرائم الحرب (المادة 8). والتي لا تسقط بالتقادم، ولا يجوز أن تشملها اتفاقات أو مراسيم العفو، بهدف تعزيز سياسة عدم الافلات من العقاب على حساب حقوق الضحايا.

تشكل هذه الاتفاقيات والإعلانات ذات الأساس العرفي، أساساً لالتزام الدول وغيرها من أطراف النزاع بما في ذلك المجموعات المسلحة في النزاعات الداخلية، بمنع تجنيد الأطفال دون سن الخامسة عشرة بأي شكل كان. واتخاذ ما يلزم من التدابير القانونية لحظر وتجريم هذه الممارسات. ويتولى الإشراف على الالتزام بأحكام هذه الاتفاقيات كل من مجلس حقوق الإنسان ولجنة حقوق الطفل عبر ممثليها ومكاتبها، ومن خلال التقارير التي تتلقاها من الدول الأعضاء والمنظمات الدولية غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني.

كما شهدت السنوات الماضية توجهاً دولياً حثيثاً، نحو رفع سن التجنيد المسموح به، وهو ما تكلل بالتوصل الى البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل لعام 2000، بشأن اشتراك الأطفال في النزاعات المسلحة والتي دخلت حيز النفاذ. حيث تفرض الاتفاقية التزاماً عاماً على الدول الأطراف باتخاذ التدابير الممكنة لضمان عدم اشراك أفراد قواتها المسلحة ممن لم يبلغوا الثامنة عشرة مباشرة في الأعمال القتالية. إلى جانب رفع سن التجنيد الإجباري إلى 18 عاماً، ورفع سن التجنيد الاختياري عن 15 عاماً (المواد 1–2–3–4 من البروتوكول). وقد بلغ عدد الدول المصادقة على البرتوكول الاختياري 147 دولة. كما أن هناك 23 دولة قامت بالتوقيع دون التصديق. وتجب الإشارة إلى مصادقة سوريا على اتفاقية حقوق الطفل وكذلك على البروتوكول السابق.

جدير بالذكر، أن عالمية البروتوكول الإضافي الملحق باتفاقية حقوق الطفل، وإمكانية التواصل مع أطراف النزاع عبر المنظمات الدولية غير الحكومية، أمر كفيل بدفع أطراف النزاع من غير الدول لإبرام تعهدات للالتزام بأحكام البروتوكول، على الرغم من الصعوبات التي قد تتخلل ذلك، كانعدام الإرادة السياسية، وهو ما تم بالفعل في العديد من النزاعات والحروب الأهلية في الكونغو وراوندا وسيراليون، وكذلك مع بعض الأطراف المسلحة في سوريا كوحدات حماية الشعب «YPG».

ورغم مزايا البروتوكول، فقد سجلت عليه عدّة مآخذ ومثالب، كعدم تحديده الحد الأدنى للتطوع الاختياري بسن 18 عاماً، وعدم شموله لحالات التطوع في المدارس العسكرية التابعة للقوات المسلحة، إذا كان ذلك يندرج بحق الأطفال في التعلم، ومن ثم حظره إشراك الأطفال في الأعمال الحربية بشكل مباشر، الأمر الذي يثير التساؤل عن الاشتراك غير المباشر؟ وهذا النقص يتوجب استدراكه لدى مراجعة البروتوكول، أو من خلال مبادرة الدول بسد هذه الثغرات في تشريعاتها الوطنية، أو من خلال التوسع في تفسير أحكام مواد البروتوكول لصالح حماية الأطفال عند النظر في قضية تتعلق بتجنيد الأطفال أمام المحاكم الدولية. في هذا الإطار، فإن قرارات مجلس الأمن الدولي في العديد من

النزاعات المسلحة رسخت ممارسات مستحدثة بهذا الصدد. كالعمل على ضمان حقوق الأطفال وإزالة الانتهاكات المرتكبة بحقهم من خلال اتفاقيات السلام، وكجزء لا يتجزء من هذه الاتفاقيات (اتفاق السلام في دارفور عام 2007). وكذلك المبادرة إلى تعيين مستشارين في مجال حماية الطفل ضمن بعثات حفظ السلام (سيراليون والكونغو الديمقراطية عام 1999).

بالعودة إلى مفهوم التجنيد وموضوعه، يُقصد بالطفل كل إنسان لم يبلغ الثامنة عشرة من العمر، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك حسب القانون الذي يخضع له (المادة 1 من اتفاقية حقوق الطفل). مع الإشارة إلى أن قوانين الدول تختلف في تقرير سن الرشد، حيث تتراوح بين 16 عاماًإلى 24 عاماً، وبحسب القانون السوري فيتحدد بـ 18 عاماً. وينسجم هذا التحديد العمري مع تعريف الطفل المقاتل وفق ما تبنته اليونيسيف وعدد من المنظمات الإقليمية والدولية الأخرى، كالمفوضية الأوروبية. مع الاقرار بعدم إلزامية هذا التحديد بصدد وضع سن محدد للتجنيد.

وأما عن مفهوم التجنيد، فهو لا يقتصر على المشاركة الفعلية في الأعمال القتالية لصالح أحد الأطراف، إنما يشمل أفعالاًأخرى، مثل المساعدة في حمل وتعبئة الذخائر وحفر الخنادق وتقديم الخدمات والطعام للمقاتلين والتجسس، وتوفير المتعة الجنسية، وأي شكل آخر من أشكال المشاركة الفعالة التي من شأنها تعريض الطفل إلى الخطر بوصفه هدفاً محتملاً، وهو مفهوم عريض وفضفاض يهدف إلى فرض أوسع أنواع الحماية للطفل في حالات النزاع المسلح.

وعادة ما تُفضل بعض أطراف النزاع تجنيد الأطفال ليس لمجرد وجود نقص في القوات المقاتلة لديها من البالغين، وإنما لسهولة إخضاع هؤلاء الأطفال، وإمكانية تكييفهم لارتكاب أفعال القتل دون خوف. والتجنيد قد يكون إجبارياً، وقد يكون اختيارياً، فقد ينضم الطفل بمحض رغبته إلى أحد أطراف النزاع لأسباب دينية أو أثنية أو نتيجة للفقر والتشرد، أو بهدف الانتقام والبحث عن الحماية والبقاء.

جنود أوبسلا

ميرال كيلو

لهم إتقان في سرد الذكريات ... والطفولة
صغيرٌ مسافر يحمل أمه في حقيبة...
وضرب الطريق يهوّل للخروج من رأفة المجيب للسائل
التائه عنوةً في أيّ اتجاه تراني أصل مُرادي...
«لو» لُغةٌ ولعنة الطلاسم تعود بهم أدراج ما كانوا يؤمنون
به في عشاء الوطن، إن كان زيتوناً يتنازعون عليه أمام
الأب الصارم ذو الملامح الخشنة لا يأذن بالحرب تحت
جنحه...
وقعُ هذه المفردات على مسامعهم لا يشبه البتة صوت
رغيف الخبز في صديد النار
وقعٌ يشبه العورة في التماسها الأول مختلياً...
إذ كُنتَ وحيداً ترى الآدمية وحدك على البسيطة، شعورٌ
بقبح ارتكبته وإن كانت تُرافق طهارة المراهقة
هُناً في مستهل الأمر يبدأ البسط بالذراعين، ممتدتان
امتداد سهول أوربا على الأريكة بلون مغاير للوجود في
المصطلح الشرقي.
يسردونه لنا كفردوسٍ«نحن ارتكبنا خطأً بولادتنا هُنا لا
وصول لنا إليه»
فردوسٌ ليس إلهياً مقدساً ... صنعٌ بشريٌّ بإتقان
وهم فيهِ كزوبعة جحيم ونحن هُنا أيضاً في خضم الجحيم
فأين الفردوس؟
يصطدمون بِنا في عالم أزرق أشبه بالخيال لضيق الخيال،
لِكوننا صغارٌ جداً أمامهم لا نعيّ الخيال
نحنُ هُنا جنودٌ إن أبينا ...

وهنالك أنتم حيث تقطنون جنود مفعمون ممتلئون تنعتون
بالمهاجرين ...
أيروق لك قرع الأجراس على صوت المؤذن الأحدب (ابن
الجمل)لقباً...
ولكلِمَن مِن عامودا أيقظه صُراخه العنيف ...
–تفضل عبق اللون القُزحيّ في كل مكان على إشارب
جدتك الهرِمة كلونٍ مُزعمٍ للتقاليد...
–تفضل رائحة خُبزٍ فرنسيٍ لايليق بك على شتائم تليق
بك، بغض النظر عن عمرٍ يليق بك في مخبز (كاملو)
الذي يجوب أرض الفرن بحذائه النتن يطأ موطئ الخبز
...
وتتناسى راضياً بضرب الرغيف تلو الآخر كناية عن
التنظيف...
–تتفاخر صوراً في معرضٍ إن سنحت فرصةٌ لك ...
وهنا في نظرك، إن من يتقن الرسم هو ذاك من يستطيع
تسطير اسم لاعبك المفضل ذو الرقم عشرة «وفي الكتابة
أميةٌ بحتة» على قميصك الرياضيّ تخرج إلى البيت
مهرولاً وأنت تعلنه للسماء آية قرآنية ليلقى المصير
نَشِفاً...
نحن جنودٌ هنا إن أبينا...
وأنتم هنالك جنود مفعمون
ولسرد التفاصيل جزء بغيض آخر...

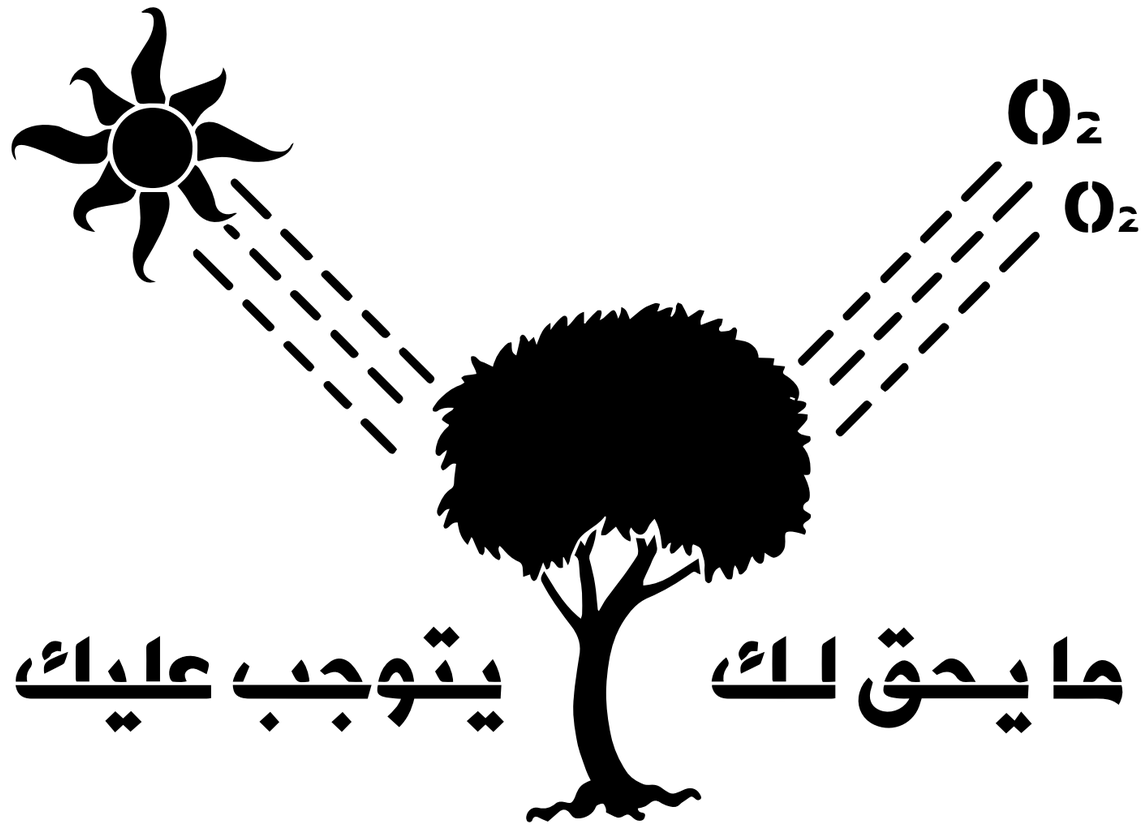

إحدى الرسومات الجدارية لحملة «حق وواجب» التي نظمها مشروع «اليوم التالي» في منطقة الجزيرة بالتعاون مع منظمة «شار للتنمية»

الجدران حين تكون لوحة تشكيلية

شيرو هندي

أن نعتبر جزءاً أو أجزاء معينة من جدران قديمة – لوحة تشكيلية، هي فكرة جريئة تحمل قدرة عالية من الطرح الثقافي التشكيلي، تستند إلى اعتبارات، كتقريب ذهنية التلقي من الدلالات المكثفة للوحة. بالإضافة إلى تبسيط عملية الاتصال البصري، من خلال تفكيك أسلوبية العمل في حالة اقتران اللوحة مع تكوينات مادية واقعية صنيعة النشاط الفيزيائي/ العبثي أحياناً، فالعمل على هذا المستوى يتيح لتوجه تشكيلي نقدي، هو نتاج مختبر تجريبي مجتهد في إطار المزاوجة الحريصة بين التقنية والموضوع الفكري للعمل الفني.

في حالات عديدة نشاهد تعاملاً مميزاً مع الكتل الهندسية، وذلك من خلال زاوية نظر مسقطية تتيح شعوراً بالاكتشاف، ويخرج المكان التشكيلي من اعتيادية منظور الواجهة وتفاصيل البعد المعقدة لكتل المكان. فالصورة الفضائية تشرح التكوينات المساحية، وتفصح عن علاقات الكتل ببعضها بشكل أوسع.

في مجموعة من الأعمال نجد استغراقاً في استعمال تركيبات لونية متقاربة، تبتعد فيها العين عن فكرة إيجاد انسجام تقليدي مريح بين الألوان. فلا نجد تبايناً لونياً يُمايز بين شخصية لون وآخر إلا بشكل بسيط، مما يحفز العين على إيجاد مفردات تشكيلية أكثر عمقاً، تتيح فرصة

كبيرة لارتقاء التلقي البصري والخوض في معطى تشكيلي صرف.

نادراً ما نضبط دلالات الحركة داخل اللوحة، فالحركة على الأغلب تكون زمانية رتيبة مؤثرة في وجود اللوحة التي هي عند مجدل بيك أصلاً، أثر حركة الزمن – أثر إنساني (مقصود ، اعتباطي)، وأثر طبيعي متراكم وجدير بالتوثيق الفني ذي الصفة الانتقائية، وبأحقية حس بصري جدير. فإذا ما قصدنا الجدار كموضوع أو (مختبر لرصد الزمن)، فإنه يتحول إلى متلقٍ لضربات الحدث عبر الوقت، فالجدار الواقعي يتعرض للمطر والانهيار وتغيرات اللون والبنية والآثار البشرية كالكتابة والدهان. بينما اللوحة تخطف البصر نحو لزوجة اللون، ودهشة المطابقة الدقيقة، والجذب المحيّر للتواجد المكثف للأشكال.

يستخدم مجدل بيك، العديد من الإشارات والرموز في حالة أيقونية وبشكل دلالي متنوع. فالعديد من هذه الإشارات والتي تأخذ معنى دلالي عام وشائع بشكلها الظاهر، تكون هنا متناولة بشكل ذاتي وخاص، مرتبطة بشكل مباشر مع ذهنيته البصرية الذاتية. مثلاً الإشارة (+) والتي يستخدمها بشكل مكثف ومتنوع تأخذ مدلولات عديدة؛ مثل الصليب والزائد أو حتى الوردة ذات الأربع بتلات، وعندما تدار قليلاً تتحول إلى إشارة الضرب ..!. وكلها رموز وعلامات لها مدلولها العام باختلافات بسيطة حسب التنوع الثقافي والاجتماعي وأطر المكان والزمان، ولكنه استمدها – حسب قوله – عبر استذكار إحدى لعب طفولته، والتي يتم فيها رسم هذا النوع من الإشارة داخل مربع على الجدارن.

في العديد من الأعمال الأخيرة نشاهد داخل اللوحة شكلاً هندسياً مستطيلاً، أشبه بتابوت مفتوح أو نوافذ كتيمة، تحوي أشكالاً تجريدية متنوعة، تتشابه هذه الأشكال مع العديد من المشاهد التصويرية الأثرية، كأيقونات تجسد الآلهة القديمة، وطبعات أختام الملوك والتي تحوي رسوماً تجريديةً لهم وللحيوانات الأسطورية،

ومشاهد أخرى تظهر رموز بسيطة كالدوائر والسهام والخطوط المتقاطعة. وهذه المقاربة ليست من باب تأطير القيمة التشكيلية المتخيلة لهذه الأشكال في لوحة مجدل بيك، إنما بالعكس من ذلك، أرى إن محاولة تلاعب مجدل بيك بالبعد الدلالي والرمزي لهذه الأشكال، يمنحها مستوى مختلف من الاتصال البصري، واحتفاءً ثقافياً بالفن القديم.

في الأعمال الأخيرة لمجدل بيك، نلاحظ أنه يتخلص من التهذيب المعتاد في لوحاته السابقة، متخلياً بحرص شديد عن نماذج كتله اللونية والتي تشخص الأمكنة، والتمازج بينها وبين الأشكال الإنسانية وخاصة النسائية منها، فهو يدخل الآن في الاعتبارات النفسية التي تبثها مواده المتنوعة من خلال العمل المكثف والدقيق على سطح اللوحة، وبجرأة أكثر يعرض شخوصه الأكثر وضوحاً، وبانطباعات خاصة متمايزة عن تلك المبهمة، والتي كانت تشغل لوحته، حيث كان يحرص ألا يبدي رؤية تشخيصية تجاه كائناته السابقة. رغم أن محاولات التجريب الكثيرة عند عبد الكريم مجدل بيك تؤثر – ولو جزئياً – في خصوصيته، إلا أنها تعتبر في حد ذاتها نوعاً من التمايز عن أبناء جيله الشباب، وملكة قلق المبدع لخلق ما هو جديد، فتجربته تتميز بمستوى حسي عالٍ في التعامل مع الألوان ودقة في التجريد وصناعة الجذب البصري المنسجم، والاستخدام الوفير للمواد التقنية، يشكل هارموني مع موضوعاته التشكيلية، وطرحاً حرفياً شديد التأثر بالتجربة الأكاديمية السورية بشكل عام.

عبد الكريم مجدل بيك مواليد سوريا – الحسكة 1973، خريج كلية الفنون الجميلة – قسم التصوير الزيتي 1998 – 1999، امتياز شرف دبلوم دراسات عليا في التصوير الزيتي (العملي) كلية الفنون الجميلة دمشق 2001، أقام العديد من المعارض الفردية والمشتركة في سوريا والعراق والأردن وإيران وفي العديد من المراكز الثقافية الأجنبية في دمشق،

أنا هو آخر

عمران عز الدين

رنَّ المنبه رنيناً صاخباً متتابعاً، ففتحتُ عيني اليسرى نصف فتحة، وبكسل جَمّ ضَمتُه بين يدي، ثمّ ضغطتُ بكلّ قوّة على مصدر الإزعاج فيه، فأخرسته تماماً. كانت الغرفة ما تزال مُعتمة، فلم أستطع مغادرة السرير، إذّاك كنتُ مُنهكاً، وبدا جسدي مُكسّراً كآلة للتوّ تحطّمت، وتناثرت بقاياها في شارع الموت !

وكمن يحبو، خطوتُ خطوتي الأولى، ثمّ الثانية والثالثة وهكذا دواليك، سرت الدماء قليلاً في جسدي، ففتحتُ النافذة، وتمتمت مُستغرباً للمرة الثانية: أووووه.. هل يعقل هذا، ما زال الجو مُعتماً ؟! وعلى مضض أشعلتُ الإنارة، توجّهتُ. والحيرة تغتالني – صوب المطبخ –، أعددتُ فنجاناً من القهوة على نار هادئة، وسكبتُ الماء على وجهي، ثمّ حملتُ فنجان القهوة وجلست بالقرب من النافذة. لا أدري كم دخّنتُ من السجائر وأنا أسرح بخيالي بعيداً، النشيد الوطنيّ في المذياع نبّهني إلى مكوثي الطويل بالقرب من النافذة التي أحكمتُ إغلاقها، لما شعرتُ بالبرودة تكتسح بدني. ثمّ ارتديتُ ثيابي، ووقفتُ أمام المرآة أعبث بشعري. وعلى نحو مفاجئ، قفزت إلى ذهني فكرة أن أغيّر تسريحة شعري الكلاسيكيّة، لم تكن هذه الفكرة وليدة تلك اللحظة، طالما تمنيتُ تسريحة مُغايرة. كان قد تناهى إلى سمعي، ذات مُشاهدة للتلفاز، بأنّ تغيير الشكل يمنحنا نشاطاً ما. أحضرتُ المقصّ من الخزانة، وشرعتُ بقصّ بعض الخصلات هنا وهناك، بدا شعري بعد التعديل كشعر «آل باتشينو» في فيلم العرّاب. ابتسمتُ قليلاً، وتيقّنتُ نوعاً ما من النشاط الذي يجود به علينا تغيير الشكل. ولجتُ الحمّام، واغتسلتُ، ثمّ عدتُ لأمثلَ أمام المرآة مرة أخرى، كي أتأمّلَ تسريحتي الجديدة بعد الاغتسال. رأيتُ في المرآة شخصاً يشبهني، له تسريحة شعرٍ تشبه تسريحة شعري القديمة، وبعد نبشٍ يسيرٍ أبصرتُ المقصّ بالقرب من المرآة، فتأكّدتُ بما يشبه اليقين الجازم بأنّ ما أراه أمامي لا يعدو أن يكون سوى حلم سمج:

ـ لستُ حلماً سمجاً كما يخال لك !

ـ مَنْ أنتَ إذن ؟

ـ أنا هو أنتَ، وأنتَ هو أنا !

ـ أنا لستُ أنتَ، أنا أحبُ الحياة، لا أنكر أننا نتشابه، لكن شعري يختلف عن شعركَ... وأكثر أناقة.

ـ أنتَ أكثر جنوناً، أما أنا فأكثر عقلاً.

ـ لا تقل عني ما لستَ تعرفه. أنا لستُ مجنوناً.

ـ أنتَ عاقل إذن ؟

ـ ومتحكم بأفعالي التي تخضع للعقل ومعاييره.

ـ أنتَ تعترف بأنكَ عاقل، لِمَ تتحدّث معي إذن ؟

ـ لم أتحدّث إليك.. أنتَ من بادر للحديث معي .

ـ لأنّكَ اتّهمتني على اعتباري حلماً سمجاً لا أكثر ولا أقل ؟

ـ وهل تنكر ذلك ؟

ـ إذن أنتَ مجنون، لأنّكَ ـ كما قلتُ لك ـ تتحدّث إلى نفسك في المرآة ؟

ـ لكنّكَ لستَ أنا

ـ بل أنا هو أنتَ، وإن اختلفت تسريحة شعركَ عن شعري

ـ انصرفْ عن وجهي، لقد بدأتُ أفقد توازني، لا تجعلني أسحلكَ، وأمزقك إرباً إرباً !

ـ مجنون.

ـ انصرف.. قلتُ لك انصررررررف.

ـ مجنووووووووون.

ـ انصررررررف.

ـ مجنووووووووون !

صوّبتُ لكمة قوية إلى المرآة، ودون مقاومة تذكر منه، سحبته من شعره، فقيّدته بإحكام، وأحضرت سكيناً من المطبخ، ثمَّ قطّعته قطعاً صغيرة، ووضعته في كيس بعد أن فرمته. ارتديتُ معطفي الصوفي، وتأبّطتُ مصنّفاً لأوراق يجب عليّ الانتهاء منها بشكل سريع كي أهاجرَ بشكل شرعيّ من البلاد هذه المرّة. جَرّرتُ الكيس بيد، وفي اليد الأخرى حملتُ مظلة اتّقاء مطر غزيرٍ مفاجئ.

توقفتُ عند عمودٍ بإنارة خافتة، وأنا أجيل النظر هنا وهناك. لمحتُ كلباً أجربَ يرفع إحدى قائمتيه ويتبول، انتفض وهزّ ذيله، ثمّ نبح نباحاً حزيناً خافتاً، وسار إلى أن غيّبته الظلمة عن ناظري. كان الشارع مُقفراً، وموغلاً في العتمة، لا جلبة ولا أصوات، وَضعتُ الكيس بحرص شديد في حاوية للقمامة، ثمّ انتظرتُ سيّارة أجرة كي تقلّني إلى دائرة الهجرة والجوازات، ولما طال انتظاري، عدتُ إلى البيت وأنا في حيرة من أمري.

و... ولجتُ البيتَ، تَحرّرتُ من معطفي وثيابي، ألقيتُ نظرة خاطفة إلى المرآة، فقفزتُ من مكاني، شعرتُ بالدوار، وأحسستُ بالأرض تميد تحتي، وصرخت:

ـ للتوّ قطّعتك، وفرمتك قطعاً صغيرة رميتها في الحاوية لتلتهمها الحشرات، الكلاب، والذئاب الضالّة ؟!

ـ لستُ حلماً سمجاً كما خيّل لكَ، أنا هو أنتَ ، وأنتَ هو أنا، هل تنكر ذلك الآن ؟

و... واهن العزم صرختُ، ثمّ انزلقتُ بحذر في الفراش، وسرعان ما غصتُ في نوم متقطع مجنون.

فجأة.. رنَّ المنبه رنيناً صاخباً متتابعاً، ففتحتُ عيني اليسرى نصف فتحة، وبكسل جَمّ ضَمتُه بين يدي، ثمّ ضغطتُ بكلّ قوّة على مصدر الإزعاج فيه، فأخرسته تماماً. كانت خيوط الشمس قد شرعت للتو باختراق النافذة، لكنّني لم أستطع مغادرة السرير، إذّاك كنتُ مُنهكاً، وبدا جسدي مُكسّراً كآلة للتوّ تحطّمت، وتناثرت بقاياها في شارع الموت!.

صيحة لـ رامبو

السجناء السياسيون وقوقعة الغريب

«فيلم الخريف»

عمار عكاش

خلال 100 دقيقة سينمائيّة يفاجئنا المخرج التركيّ «Özcan Alper» في ظهوره الأوّل، برؤية متميّزة لعالم السجناء السياسيّين ما بعد فترة السجن، فينجح في الاقتراب من عوالمهم على المستويات العاطفيّة والوجوديّة والرمزيّة. اختار المخرج في فيلمه أسلوبيّة خاصة تنطوي على مجازفة، فهي تقوم على الاقتصاد في كل شيء، الموسيقى والحوار، الأحداث الحارّة الدراميّة، واتباع إيقاع هادئ يقارب به الحالة النفسيّة للسجناء السياسيّين بعد إطلاق سراحهم حين يصابون بشيء من جمود الفصام الذي ينطوي على الميل للعزلة، واللامبالاة، والحاجة إلى الحبّ والحضن الدافئ مع الاعتكاف عنهما.

يوسف سجينٌ سياسيّ يُطلَق سراحه بعد عشرة سنوات قضاها في سجن الـ «F»سيّء الصيت، بسبب حالته الصحيّة المتردية، ويعود إلى قريته الواقعة على البحر الأسود (مناطق تقطنها أغلبيّة شعب اللاز) ليجد والدته العجوز فقط في انتظاره بعد رحيل والده وزواج أخته، ولا يجد سوى النجّار ميخائيل صديق طفولته يؤنسه. أما رفاق دربه الشباب فقد هجروا تلك الأفكار الاشتراكيّة الحالمة واستقروا وبنوا عائلات بما في ذلك حبيبته أيام الحياة الجامعيّة. يُصاب يوسف بحالة برود ولامبالاة مع معاناة دائمة من رئتيه المتعبتين من سنين السجن، قبل أن يلتقي مع بائعة هوى جورجيّة تعيل ابنتها وأمها، فيكون اللقاء أشبه بلقاء ضحيّتين من ضحايا الحياة، يكتنفه شيءٌ من الحنان والجنس الذي يحمل في ثناياه من الشفقة المتبادلة أكثر مما يحمل من الحبّ، هو يشبه بالنسبة لها: بطل رواياتٍ روسيّة أحمق ضيّع شبابه من أجل الاشتراكية، وهي بالنسبة له النافذة الوحيدة وربما الأخيرة على الحياة.

اختار المخرج التأمّل الهادئ الرثائي، من خلال شخصيّاتٍ وأحداثٍ قليلة تتحرك دوماً على خلفية مُبهرة من مشاهد طبيعيّة خلابة، تلعب دوراً كبيراً في التغطية على الإيقاع البطيء، وفي بناء ثنائيّة وجودية بين عالم الطفولة الأبيض البريء، وبين عالم الهزيمة الذي يمثله يوسف. وفي نفس الوقت تعكس الطبيعة التحوّل السوداوي التدريجي في حياة يوسف مع الانتقال من الخريف إلى الشتاء. أما العواطف فهي مُقتصدَة: وجه يوسف اللامبالي المُفارِق لكلّ شيء، المنفصل عن المحيط هو الشخصية الرئيسة، ويكاد لا يختلج إلا بين يديّ الحبيبة الجورجيّة، ونكاد لا نعثر في الفيلم سوى على مشهدين تتكثّف فيهما المشاعر: مشهد رحيل الحبيبة، ومشهد يوسف قبالة البحر والماء يغمره. وبين حينٍ وحين تعصف ذاكرة يوسف بمشاهد من حياة السجن والمظاهرات، فهو سجينُ الذاكرة، وتتكرّر مشاهد الكوابيس ومشاهد وجوده (يوسف) داخل الكوخ الذي يبدو تمويهاً لزنزانتهِ السابقة، قبل أن يرمق بعينيه الساهمتين الأفق والثلج والمرتفعات المحيطة بقريته؛ مدىً مفتوحٌ، لكن الماضي يُسيِّجه بغلالة سوداء تعوق الانطلاق، وكأنّ هذه الشريحة من البشر دخلت سجونها الأبديّة.

مرّت بعض الرموز المكرورة في الفيلم، مثل بائعة الهوى الرقيقة المظلومة مقابل البطل المثقّف المضطهد، إضافةً إلى تكرار رمزيّة الغراب الذي تهشّه والدة يوسف كي لا يجلب الشؤم؛ الشؤم الذي لم يفارق يوسف.

بارقة الحياة والرغبة في العودة إلى الآدميّة تظهر في تدريس يوسف طفلاً من أبناء جيرانه دروس الرياضيات، وفي الحبّ اليتيم الشريد لبائعة الهوى. لكنّ ذاكرته تستولي عليه، ولا تسعفه رئتاه المتعبتان، وهكذا ينحدر يوسف تدريجياً مع التحول من الخريف إلى الشتاء نحو دروب الأبديّة.

في المشهد الأخير ينفخ يوسف من رئتيه المتعبتين في مزمار القِربة (آلة من تراث شعب اللاز)، وترتفع الكاميرا بعيداً لتنقل مشهد تشييع يوسف بين الثلوج، مترافقاً مع موّال صدّاح رثائي من تراث اللاز؛ إنها رحلة الألم والعذاب التي لم تفارق المنطقة. لقد رحل يوسف في قوقعته غريباً وحَلّ عليه سلام الأبد!!..

ما هي الانتخابات الحرة والنزيهة؟

كتيب توعوي ينشر بجهود منظمات مدنية

أصدرت المؤسّسة الدّولية للنّظم الانتخابيّة «IFES»، بالاشتراك مع عدّة منظمات سوريّة (الشّعب يريد التّغيير – منظّمة شار للتنمية – منظّمة نبني)؛ كتيّباً بعنوان (ماهي الانتخابات الحرّة والنّزيهة؟ – المعايير الدّولية للانتخابات الدّيمقراطية). ترجم الكتيّب من اللّغة الإنكليزيّة للّغتين العربيّة والكرديّة، ووزّع على نطاق واسع بالتّرافق مع حلقات نقاش بهدف زيادة الوعي بالانتخابات ونظمها، وتشجيع النّاشطين والمهتمين بالشّأن العام على زيادة معارفهم في هذا الإطار، بالنّظر لاحتمالية دخولهم في معترك الانتخابات مستقبلاً.

احتوى الكتيب على مقدمة وخمسة أبواب هي: الديمقراطية والانتخابات كحق من حقوق الإنسان – المعايير الدولية للانتخابات – العمليات الانتخابية – نظم التمثيل – مصادر المعايير الدولية. بالإضافة لبضعة رسوم تحث على الاشتراك في العملية الانتخابية، وعلى معرفة قيمة الصوت الانتخابي ودوره.

كما ألقي الضوء – بشكل مقتضب – على بعض النظم الانتخابية الأكثر شيوعاً في العالم، كنظم «التعددية» و «الأغلبية» التي يندرج تحتها نظام «الأول يفوز بالمقعد» و«التصويت الكتلوي» ونظام «الجولتين». إلى جانب الإشارة لنظم النسبة كنظام «القائمة المغلقة» و «القائمة المفتوحة»، بموازة تعريف الكتيب للنظم المختلطة.

تضمن كتيب (ماهي الانتخابات الحرة والنزيهة؟) التعريف بالمعاهدات والالتزامات الدولية التي صدرت من قبل الهيئات الدولية، بشأن إقرار الانتخاب كآلية متبعة لإيصال الساسة والممثلين والأحزاب لمراكز القرار السياسي في الدول منها؛الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948 و الاتفاقية

الدولية للحقوق السياسية والمدنية ووثائق أخرى كـ اتفاقية إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة 1979 و الاتفاقية الدولية لإلغاء التمييز العنصري 1966 و اتفاقية حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة 2006. مؤكداً أن مبادىء الديمقراطية تعد «جزءاً لا يتجزأ من حقوق الإنسان، وهي معرّفة في القانون الدولي. ويعد مبدأ انتخابات حقيقة واحداً من هذه المبادىء».

أخذت الخطوات الرئيسة لإجراء عملية انتخابية «حرة ونزيهة» حيزاً مهماً من متن الكتيب، كتسجيل الناخبين والترشح وحرية التجمع والتعبير والتصويت والشفافية وحق الحصول على المعلومات والمراقبة وحل الخلافات الانتخابية ومشاركة النساء، انطلاقاً من اعتبار أن الانتخابات هي «أكثر من مجرد التوجه لمراكز الاقتراع للإدلاء بالأصوات».

بالرغم من كون الكتيب الصادر مقتضباً وغير شامل لكل التفاصيل المتعلقة بالعملية الانتخابية. إلا أنه يعد خطوة أولية لتكريس الاهتمام بالانتخابات في سوريا، والتي كانت تجري في أجواء تفتقد للنزاهة والحرية، وغابت عنها أدنى المعايير الدولية المتبعة.

وشكّلت ترجمة الكتيب للغة الكردية حافزاً مهماً لاقتنائه والاهتمام به في منطقة الجزيرة، كما ترافق توزيع الكتيب على المنظمات والأحزاب مع إجراء عدد من

حلقات النقاش حول مفهوم الانتخابات وآفاق إجرائها وانخراط الفئات المجتمعية ضمنها.ولاقت هذه الحلقات ترحيباً من قبل الحضور وشهدت تفاعلاً، ومداخلات عكست حالة الانتظار الشعبي لقيام انتخابات حرة ونزيهة ومعبرة عن المكونات والفئات والكتل السياسية. وقد عبر العديد ممن حضر هذه الحلقات عن رغبتهم في مواصلة العمل على التوعية والتثقيف في مجال الانتخابات، كما أظهر العديد من الناشطين طموحهم في التخصص ضمن هذا المجال والتعمق فيه.

تمثل النظم الانتخابية والانتخابات عامة، إحدى الركائز المهمة في عملية بناء النظام السياسي فيما يخص الدول، كما أنها تمثل مبدأ شاملاً يمكن اللجوء إليه في بناء مختلف أنواع المؤسسات والمنظمات سواء السياسية منها أو الاقتصادية وحتى الاجتماعية، وترسخ هذه الانتخابات بمفهومها المجرد المنحى القيمي للإنسان وتعزز لديه الثقة في قدرته على المشاركة في بناء المجتمع المحيط به، كإنسان فاعل ومؤثر، وليس مجرد رقم أو كائن موجود مصادفة في هذا المجتمع أو ذاك. ولهذا نرى المجتمعات الحديثة تسعى بشكل حثيث لتطوير أنظمتها الانتخابية والانتقال بها إلى مراحل أكثر تقدماً وتحقيقاً لمبدأ التمثيل الحقيقي للأصوات.

«فيس بوك»

مقداد خليل

في مطارٍ ترابيٍّ يشبهُ حانةً واسعةً خابيةَ الضوء، التقيتُ أسرَةً يرتعدُ أفرادُها، وقصدُهم الصحراءُ العربيّة. ركبوا الطائرةَ، وتبعتُهم إلى حيثُ حطّت، بخطواتٍ وجيزةٍ كمسافةِ خرقكَ ستاراً من قماشٍ بين حُجرتين.

رأيتُهم في صحراء متّصلة بالبحر، وقبلَهم هدهداً ملوّناً طويلَ العرف والذيل. في الحال عمَّ الظلام. كان البحرُ داكناً تتلاطمُ أمواجُه. اجتمعنا فوق هضبةٍ تحدُّ بحيرةَ ماءٍ عذب تربطها بالبحر قناةٌ. الهواءُ هفهافٌ، والأفاعيتتخلّلُنا واقفةً، مسالةً، ولكن ليس كلَّ المسالَة، فحيناً تفغر أفواهها مثل أطفالٍ ممسوسين.سواي ما اكترثَ أحدُنا، دافعتُ أقصيتُ ورميتُ بيدي. قليلُها تسلّلَ تحتَ ثيابي، فكرهتُ سحقَها جواباً على عضّاتٍ منها خفيفة.

كأزهار عبّاد شمس تحملها سيقانٌ رفيعةٌ يهزُّها الهواءُ، ثعابينُ هشّةٌ في جهة الصحراء سوَّرَت ظهورَنا، ولّما أن خالطَتني ولمستُها قلتُ في نفسي سأعتادُ، وقد انتهى من رهابي إزاءَ ملمسها.

تحدَّرنا، قريباً من الماء، أبصرتُ تمساحاً يسبحُ، وأشرتُ إليه بصوتي. بعجالةٍ لم نتوقّعها اندفعَ نحونا، ففررنا، وأبطأت أمّي، فانتزعها مرتدّاً بها للبحيرة. كان عصيباً عليّ أن تختفي داخلَ أحشاءٍ تنأى في الماء، فعدتُ أخلّصها، باعدتُ بينَ صفّي الأنياب منقذاً الساق العجوز. كان فمُ التمساح مثلَ وردةٍ مفترسةٍ فيها أسنانٌ متطاولةٌ مرنةٌ مطاوعة.

ولجنا النزلَ جميعاً، أمتارٌ معدودةٌ تفصله عن البحيرة. النزلُ بناءٌ من طابقٍ واحدٍ بلا سور. منفردٌ، مهجورٌ، وغنيٌّ بطبقاتٍ من أثر الحياة.

Mustafa Ismail

كان بإمكانهم استثمار الفروق الثقافية بشكل خلاق، لكنهم يفضلون الصدام الثقافي الحضاري – بدموية كارثية –كالذي توقعه "صامويل هنتنغتون"، وحظّر منه بعد انتهاء الحرب الباردة. إذن ثمة حرب ساخنة اليوم، قائمة على محورية الدين بديلاً للإيديولوجيا والعامل الاقتصادي، وأكثر من واقعة إرهابية نفذها إسلاميون متطرفون، تجعلهم في الداخل يرسخون هويتهم المضادة للعالم الحر (هوية قاتلة).

هذا التضاد مع العالم الحر لا يخدم هوية الإسلامي، ولا هويات المصفقين له، أو الرماديين المتعاملين مع كل عملية إرهابية في الغرب على مبدأ (الجدل البيزنطي)، فكل ثقافةٍ وكلّ هويةٍ نتاج لها، تحتاج إلى التثاقف بدلاً من صراع مفتوح.

مصلحَة الإسلاميين هي في الاندماج مع قيم العالم الحر، لا إهالة التراب والدماء عليها. ولا أعتقد أن الإسلاميين قادرين اليوم على كسب حرب ثقافية أو الصدام الحضاري (الحضارة ككيان ثقافي أشمل).

نسب الطلاق للعام 2014 الأكثر ارتفاعاً في الجزيرة

إيمان مصطفى

تتزايد المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية في سوريا، كنتيجة لما تعيشه البلاد من حربٍ فتكت بالحجر والبشر. فيمرُّ اليوم على السوريين في مدنٍ شبه آمنة، كما لو أنها سنة، ولتتفاقم المشاكل الاجتماعية نتيجة الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تعيشها منطقة الجزيرة السورية، التي تفضي إلى حالات من العنف الأسري، قد تنتهي بالطلاق وتفكك الأسرة.

حربٌ لم تهدأ وتيرتها لثلاث سنوات مضت ولا تزال، سقطت ضحيتها الآلاف من العائلات السورية، لم تتوقف هنا فقط، بل ساهمت أيضاً بارتفاع نسب الطلاق ارتفاعاً غير مسبوق مقارنة بالأعوام الماضية. وتشير الإحصائيات الصادرة عن منظمة «سارا» لمناهضة العنف ضد المرأة بـ «مقاطعة الجزيرة» التابعة لـ «الإدارة الذاتية الديمقراطية»، إلى أن حالات الطلاق للعام 2014 في «ازدياد مضطرد مقارنة بالعام 2013». فالإحصائيات تتحدث عن بلوغ حالات الطلاق في العام 2013 إلى 151 حالة في منطقة الجزيرة، تصدرتها مدينة ديريك (المالكية) بـ 39 حالة. أما في النصف الأول من العام 2014 ، فأشارت إحصائية المنظمة إلى بلوغ عدد حالات الطلاق في منطقة الجزيرة إلى 133 حالة، احتلت مدينة قامشلو (القامشلي) الصدارة فيها بـ 43 حالة، فيما لم تتجاوز عدد حالات الطلاق في المدينة عام 2013 سوى 17 حالة فقط.

الضغط النفسي والحالة الاقتصادية والهجرة أهم أسباب الطلاق

تعزو «نورا خليل» رئيسة منظمة «سارا» لمناهضة العنف ضد المرأة، ارتفاع هذه النسبة إلى عدة أسباب مباشرة، قائلة: «هناك أسباب كثيرة تؤدي بالزوجين إلى الطلاق منها؛ الضغط النفسي المصاحب لحالة الحرب التي تعيشها المنطقة برمتها، وأيضا الحالة الاقتصادية المتردية التي تمر على البلاد بشكل عام وعلى المنطقة بشكل خاص. إلى جانب النزوح والهجرة وتشتت العائلة». مضيفة أن هناك أسباب أخرى «كالزواج المبكر، وتدخل الأهل في حياة الزوجين وممارسة الضغوط على أحد الطرفين أو كليهما، إضافة إلى وجود نساء أخريات في حياة الزوج، وأيضا تعدد الزوجات الذي يفتح الباب أمام الكثير من حالات الطلاق».

يهددني بقتلي بعد أن طلقني

(نوال . ع) من مدينة قامشلو، تزوجت في عمر السابعة عشر من رجل حالته المادية متواضعة جداً، متزوج ولديه طفل من زوجته الأولى، تقول: «بعد مضي حوالي شهر ونصف من زواجنا، بدأت المشاكل تظهر في حياتنا، إلى أن وصلنا إلى طريق مسدود، ولم يتبق أمامي سوى المطالبة بالطلاق، وبعد أن حصلت عليه، بدأ زوجي السابق بإرسال تهديدات يتوعد فيها بقتلي، ومحاولاً إبعاد أي شخص يريد التقدم لطلب يدي. مؤكداً في معظم رسائله، أنه لن يسمح لي بالخوض في علاقة زوجية مع شخص آخر، وبعد مضي أكثر من خمسة أشهر على طلاقي منه وتوقيعه على وثيقة عدم التعرض لي، إلا إنه لم يلتزم بها أبداً».

قطعت الحدود بين سوريا وتركيا هرباً من زوجي السابق

(ليلى .أ) 35 سنة من مدينة قامشلو، تروي قصتها مع زوجها السابق والدموع تملأ عينيها، قائلة: « تزوجت من رجل مقيم في تركيا، يحمل الجنسية التركية بعد أن أجبرني أهلي على الزواج به نظراً لحالتنا المادية المتردية، متحججين بكبر عمري، ورغم معرفتهم بأنه متزوج من امرأتين تقيمان معه في تركيا. ذهبت معه إلى تركيا وأنجبت منه طفلة، كنت أعاني معه من إهمال كبير، حتى بدأت المشاكل تتفاقم بيننا وتعرضت للضرب بشكل يومي، إلى أن نجحت بالهرب إلى سوريا قاطعة الأسلاك الشائكة الفاصلة بين البلدين. إلا أنني وبعد عودتي إلى بيت أهلي صدمت لقيام أهلي بطردي وطفلتي الصغيرة من منزلهم، لذلك اضطررت للبحث عن مأوى وعمل لأعيل نفسي وابنتي الصغيرة، وأنا الآن اعمل كمستخدمة في مستشفى المدينة وأسعى إلى تربية طفلتي فقط».

إصدار قانون للمرأة

تقول «هيفي عربو» نائبة رئيس هيئة المرأة التابعة لـ «الإدارة الذاتية الديمقراطية» في «مقاطعة الجزيرة»: «بالنسبة لنا في هيئة المرأة، كخطوة أولية وللتخفيف من هذه المشكلة الاجتماعية التي وصلت إلى حد الظاهرة الاجتماعية الخطيرة، أصدرنا قانوناً خاصاً بالمرأة، داخل المجلس التشريعي للمقاطعة وتم التصديق عليه. على الرغم من اعتقادنا بأنه لن تتوقف حالات الطلاق في مجتمعنا بإصدار القوانين، إلا أنها ستكون مساعدة في التخفيف منها. إيماننا الحقيقي بأن الوعي الاجتماعي هو أفضل طريقة للحل، لأن مجتمعنا وبشكل خاص المرأة، بحاجة إلى الوعي والدراية بحقوقها وواجباتها».

منعنا الزواج المبكر وتعدد الزوجات

تتحدث «عربو» عن بعض بنود قانون المرأة قائلة: «يشمل قانون المرأة داخل المقاطعة، منع الزواج دون سن الثامنة عشر، وذلك لقطع الطريق أمام الزواج المبكر الذي أدى في الكثير من حالاته إلى الطلاق وتفكك الأسرة. كما منعنا تعدد الزوجات في أحد بنود القانون، والذي سيكون له دور كبير في تقليص حالات الطلاق باعتقادي. كما أضفنا مبدأً مهماً جداً لقانون المرأة، ألا وهو المساواة بين الرجل والمرأة في العمل والحقوق، ليكون على أساس التشارك. وأيضاً ساهمنا بشكل قوي في تثبيت نسبة تمثيل المرأة ضمن قانون المرأة في كل المؤسسات التابعة للإدارة بنسبة 40٪».

ظروف الحرب القاسية، والأوضاع الاقتصادية الصعبة، والعادات الاجتماعية الموروثة، كلها أسباب تزيد من نسب الطلاق في المنطقة، وتهدد الأسرة السورية بمزيد من المآسي، لتثقل كاهل ومستقبل ضحاياها من الأطفال، إذا ما استمرت نسب حالات الطلاق في الارتفاع. ولعل المحاولات التي تبذلها بعض المنظمات العاملة في مجال المجتمع المدني في المنطقة، تجدي نفعاً في تخفيف وطأة الطلاق على المرأة، وخاصة تلك التي تهضم حقوقها وحقوق أبنائها، في ظل تمسك نسبة لا بأس بها من المجتمع بموروثٍ اجتماعي وثقافي متحجر تجاه المرأة.

مشروع «متشاركون»
لدعم المشاركة السياسية و الاجتماعية للمرأة

أقامت منظمة شار للتنمية في مدينة قامشلو، ثلاث ورشات تدريبية حول دعم ومناصرة المرأة في إطار مشروع «متشاركون»، الذي تنفذه المنظمة في منطقة الجزيرة، واستهدفت الورشات التدريبية عدداً من الناشطين والناشطات في مجال المجتمع المدني من كل المكونات والشرائح العمرية في المنطقة، ومن اختصاصات عديدة، وعقدت أول ورشة تدريبية في مركز «بيت مانديلا» بتاريخ 2014/07/01 في مدينة قامشلو، بينما نُظمت الورشة الثانية بتاريخ 2014/08/03، في «مركز المرأة في قامشلو «، وأقيمت الورشة الثالثة بتاريخ 2014/09/04، في مكتب اتحاد الطلبة والشباب الكردستاني في الحي الشرقي بمدينة قامشلو.

مشروع «متشاركون» وبحسب القائمين عليه من منظمة شار، يهدف إلى خلق تفاهم وتكامل بين أدوار يقوم بها كل من الرجل والمرأة في المجتمع، من خلال التشارك بتحليل قضايا التمكين والمناصرة للمرأة، والتي طالما كانت تعالج بمعزل عن الرجل، وهو ما حرص القائمون على مشروع «متشاركون» بتسليط الضوء عليه من خلال التدريب والتأهيل النوعي، بالابتعاد عن القوالب المعلبة والاعتماد على مناهج تدريب معدة خصيصاً لمثل هكذا مشاريع، وبإعداد مدربين محليين على دراية يومية بحيثيات التناقضات والاختلافات الاجتماعية في المنطقة بمختلف مكوناتها العرقية والدينية، لتخلق نموذجاً بعيداً عن القوالب المعلبة، اعتماداً على منهاج تشاركي ثلاثي الأبعاد، يساعد في التعرف على الآخر المتمايز، بالإضافة إلى التعرف على تجارب المكونات الأخرى التي طالما كانت تعيش جنباً إلى جنب ولم يتم حتى محاولة المشاركة في معالجة قضايا تعتبر مشتركة كقضايا المرأة.

والمشروع يهدف أيضاً إلى توسيع دائرة المدافعين عن قضايا المرأة والعاملين فيها بشكل فعال إلى دائرة واسعة تشمل كافة فئات المجتمع، للوصول إلى الأهداف التي تخص قضايا المرأة ألا وهي تمكين المرأة اقتصادياً من خلال تعزيز استقلالها الاقتصادي داخل المجتمع المحلي، واجتماعياً من خلال التوعية في الكثير من المسائل؛ كأحقية المرأة إلى جانب الرجل بالتحكم في قضايا مصيرية على صعيد الأسرة، مثل الإنجاب والميراث، وسياسياً من خلال العمل على كسر الحواجز النفسية المتأصلة لدى كل من الرجل بالإضافة إلى المرأة نفسها، من حيث عدم تقبل المرأة في المناصب القيادية في الواقع الحالي.

وفي هذا السياق، يعقب المدرب ريدي ميشو الذي شارك في تدريب الورشات الثلاث، «اعتمدت الأسلوب التفاعلي، حيث كان للمتدربين الدور الرئيس في اختيار القضايا التي سيتناقشون حولها، استناداً إلى الخلفية الثقافية الجيدة التي تم اختيار المتدربين بناء عليها، فمعظمهم كانوا جامعيين وناشطين مدنيين، وتوجه التدريب نحو اكسابهم مهارات تحليل الواقع، ووضع أهداف من الممكن تحقيقها ضمن هذا الواقع، ثم العمل على استراتيجيات ومشاركة الرجل للمرأة في انجاز حملات ميدانية حول قضايا المرأة وتمكينها».